مخطوط 'كتاب زهد تام' لسعديا جاؤون[1]

'كتاب زهد تام' داخل المقالة العاشرة من مخطوطات 'كتاب الأمانات والاعتقادات' لسعديا جاؤون، وعنوانها: 'فيما هو الأصلح أن يصنعه الإنسان فى دار الدنيا'.

تقع المقالة العاشرة فى عشرين ورقة ضمن المخطوط الذى يضمها مع تسع مقالات أخرى (ويقع فى مائة وعشرين ورقة).

وقد ورد باب 'الزهد' من ضمن الأبواب الثلاثة عشر التى جمعها سعديا فى 'كتاب زهد تام' فى رصده المحاب التى يقصدها المرء فى الدنيا. فجاءت قراءته (مضمنة التمهيد) نموذجا للغة وأسلوب سعديا جاؤون.

اعتمدت هذه القراءة على مخطوط[2] محفوظ بالفاتيكان ويتضمن 'تفسير كتاب الأمانات والاعتقادات' ومنسوخ بالخط السفرادى وبالحبر البنى (الذى يبهت فى بعض الأحيان).

طول الورقة تسع بوصات، تتراوح أسطرها من تسعة وعشرين إلى ثلاثين سطرا. والمخطوط في حالة جيدة فيما عدا عدم وضوح بعض كلمات أو تعذر قراءتها بسبب إلصاق ورق شفاف على الحافة الداخلية لكل ورقة.

ويشير 'الكولوفون' الوارد فى نهاية المخطوط إلى ١٠٩٤–١٠٩٥. فهو إما تاريخ الترجمة التي قام بها مترجم مجهول الهوية أو تاريخ النسخ.

حين استشف سعديا جاؤون بوادر الشكوك التى ساورت معاصريه من اليهود بشأن العقيدة والإيمان أخذ على عاتقه مهمة تبصيرهم وتعريفهم بأسس الدين فينقشع الشك ويثبت الإيمان.

وقد عكف سعديا على تفسير وتبسيط أسس الدين مسترشدا بالعقائد الدينية اليهودية ومستنيرا بالعقائد الدينية السائدة فى حضارات المنطقة، فسكب فكره فى مؤلفه" كتاب الأمانات والاعتقادات"، حيث كتبه فى مسودات عديدة ظل ينقحها ويهذبها فى أوقات مختلفة حتى وصلت إلينا فى ثلاث صور:

---

(١) سعديا يوسف الفيومى (٨٨٢: ٩٤٢)، لقب بالجاؤون أى رئيس الأكاديمية لكونه رئيسا للأكاديمية فى بابل، ولقب بالفيومى نسبة إلى مولده فى الفيوم بمصر. اشتهر كرائد للفلسفة الدينية اليهودية (أى التوفيق بين العقل والدين)، وله آراء تؤكد علمه فى الثيوصوفية اليهودية (أى معرفة الله من طريق التأمل).
أفاد فى مناقشاته من سائر العلوم الطبية والرياضية وأيضا الموسيقى. ورغم كونه عالما فى التلمود فهو يؤيد أقواله دائما باقتباسات من العهد القديم.

(٢) هذا المخطوط محفوظ فى مكتبة الفاتيكان بإيطاليا تحت رقم: Cod. Ebr. 269, Biblioteca Apostolica Vaticana
وهناك أيضا خمسة مخطوطات أخرى لنفس الموضوع محفوظة فى مكتبات أوروبا كما يلى:
مخطوط محفوظ أيضا فى مكتبة الفاتيكان بإيطاليا تحت رقم: (Cod. Ebr. 266, Biblioteca Apostolica, Vaticana)
مخطوط محفوظ فى مكتبة ببارما بإيطاليا تحت رقم: (Cod. Parmense, 3018, Biblioteca Palatina, Parma)
مخطوط محفوظ فى مكتبة بباريس، فرنسا. (Cod. Hebr. 669, Bibliothēque Nationale, Paris)
مخطوط محفوظ فى مكتبة باوكسفورد، انجلترا (Cod. Opp. 599, Bodleian library, Oxford)
مخطوط محفوظ فى مكتبة بميونخ، ألمانيا (Cod. 423, Bayeriseche, Staatsbibliothek, Munich)

(١) نص موجز مقنن مكتوب باللغة العربية بحروف عبرية بعنوان: 'كتاب الأمانات والاعتقادات'[٣].

(٢) نص 'المختار فى كتاب الأمانات والاعتقادات'، وهو مخطوط باللغة العبرية ويشتمل على مختارات من الأمانات والاعتقادات.

(٣) نص 'تفسير كتاب الأمانات والاعتقادات'، وهو مخطوط مطول ومفسر باللغة العبرية (موضوع البحث).

ومما يؤكد كتابة سعديا عدة مسودات لكتابه عن الأمانات والاعتقادات أدلة وبراهين نسوق بعضا منها كالآتى:

* ترتيب ورود القوى الثلاث يختلف فى المخطوط عنه في النص العربى حيث ورد فى المخطوط الشهوة والتمييز والغضب، بينما ورد فى النص العربى الشهوة والغضب والتمييز، وما تلى ذلك من ترتيب الشروح عليها.

* يختلف ترتيب ذكر أبواب الأخلاق فى المخطوط عنه في النص العربى، ففي المخطوط ذكرت فى موقعين: (الإنجاب والعمران والحياة والثراء والسيطرة والانتقام ، وبتفسيرها تتم مقالة تامة فى الزهد (واسماء الأبواب: الزهد والاكل والغشيان والعشق والعبادة والحكمة والراحة). أما في النص العربى فقد ورد الترتيب الآتى: (الزهد والأكل والشرب والغشيان والعشق وجمع المال والأولاد والعمارة والحياة والرياسة والتشفى والحكمة والعبادة والراحة).

* وردت فى المخطوط عبارة: الفكر السئ فى مقابل النص العربى: اللائح.

* استخدم المخطوط الفعل 'מאס بمعنى يسأم، يمقت فى مقابل الفعل: يرفض فى النص العربى.

ورد تركيب جملة فى المخطوط (ובאר את הענינים אשר נעלמו מהם ואשר עזבום) عكس ما ورد فى النص العربى: أهملوا وأغفلوا.

* ورد فى المخطوط: (فهو أعوج غير كفء من طريق القدرة وغير كاف من طريق التمام) مقابل النص العربى: معوج عن الانصلاح ومقصر عن التمام (وهو اقتباس غير حرفى مما ورد فى سفر جامعة ١: ١٥ 'الأعوج لا يمكن أن يقوم والنقص لا يمكن أن يجبر').

عبر كل من المخطوط والنص العربى بطريقة مختلفة عن معنى واحد ، فقد ورد في المخطوط (דבוק החכמה והתבונה) أى الالتصاق بالحكمة والتمييز، بينما ورد فى النص العربى: (أى عمل أخذه الإنسان على الانفراد).

ترد استشهادات من العهد القديم بصورة موجزة فى المخطوط وهو النص المطول ושנאתי אני את כל עמלי שאני עמל תחת השמש بينما ترد بصورة كاملة فى النص العربى وهو النص الموجز (ושנאתי אני את כל עמלי שאני עמל תחת השמש שאניחנו לאדם שיהיה אחרי) (سفر جامعة ٢:١٨).

وأيضا يرد استشهاد من العهد القديم ناقصا فى المخطوط (כי טוב קויתי ויבא רע) بينما يرد كاملا فى النص العربى (כי טוב קויתי ויבא רע ואיחלה לאור ויבא אפל).

---

(٣) جاء النص فى نسختين تختلف الواحدة عن الأخرى فى بعض الأحيان. إحداهما محفوظة فى أوكسفورد، والأخرى محفوظة فى لينجراد.

Mittwoch, E, An Unknown fragment by Gaon Saadya, in Rosenthal Erwin, Saadia Studies, Manchester, 1943.

وعلى النقيض يرد استشهاد من العهد القديم كاملا فى المخطوط يقابله استشهاد ناقص فى النص العربى: المخطوط (עשיר ישכב ולא יאסף עיניו פקח ואיננו תשיגהו כמים בלהות לילה גנבתו סופה ישאהו קדים וילך) (أيوب ٢٧: ١٩-٢٠) أما النص العربى فقد أورد الاستشهاد مختصرا (עשיר ישכב ולא יאסף עיניו פקח ואיננו תשיגהו כמים בלהות לילה ישאהו קדים וילך).

يرد الاستشهاد فى المخطوط (תרתי בלבי למשוך את בשרי) بينما يرد فى النص العربى بصياغة مختلفة ومطابقة لما جاء فى سفر (جامعة ٢: ٣) תרתי בלבי למשוך ביין עת בשרי ולבי נהג בחכמה.

يرد الاستشهاد في المخطوط (אם אצדק פי ירשיעני) بينما يرد فى النص العربى – (פי ירשיעני תם אני ויעקשני) وكلاهما اقتبس من العهد القديم لكنه اختصر بصورة مختلفة عن الآخر، حيث ورد فى سفر أيوب ٩: ٢٠(אם אצדק פי ירשיעני תם אני ויעקשני).

* لم يرد اسم الرب فى المخطوط عند استشهاده بالعهد القديم بينما ورد في النص العربى הנה יום ה'(יום יהוה) (اشعيا ١٣: ٩).

وقد اتبع سعديا فى جميع المسودات نفس النظام وعرض الموضوع بنفس الترتيب فى مقدمة وعشر مقالات مصوغة فى صورة مجموعة متماسكة من الأفكار والمبادئ والتى تهدف إلى إرساء قواعد الدين في أذهان الناس تحت عناوين متنوعة فيما يلى:

* صدر الكتاب
* المقالة الأولى فى أن الموجودات كلها محدثة.
* المقالة الثانية فى أن محدث الأشياء واحد تبارك وتعالى.
* المقالة الثالثة فى الأمر والنهي.
* المقالة الرابعة فى الطاعة والمعصية والجبر والعدل.
* المقالة الخامسة فى الحسنات والسيئات.
* المقالة السادسة فى جوهر النفس والموت وما يتلو ذلك.
* المقالة السابعة فى إحياء الموتى فى دار الدنيا.
* المقالة الثامنة فى الفرقان.
* المقالة التاسعة فى الثواب والعقاب فى دار الآخرة.
* المقالة العاشرة فيما هو الأصلح أن يصنعه الإنسان فى دار الدنيا.

ولتحقيق هدفه من وضع هذا الكتاب سلك سعديا سبيلين:

أولهما الفلسفة الدينية اليهودية. والثانى: الثيوصوفية اليهودية.

أولا: الفلسفة الدينية حيث اجتهد سعديا للتوفيق بين الدين والعقل. وقد عمد إلى نصح الناس بالتمسك بإقامة الحجة والبرهان لبلوغ الإيمان الخالص والعقيدة النقية التى تتوافق مع العقل. فالعقل فى نظر سعديا يقر عقيدة 'البعث' حيث يُفرض جزاء الثواب والعقاب على الجسم والروح معا والعقل يقر وصايا الأمر والنهى بناء على شعور الإنسان بالاستحسان أو الاستهجان كما يقر أنها من عند الله جل جلاله وبموجبها يثاب المرء أو يعاقب

حسب عمله في الدنيا. وبالعقل يدرك الإنسان أن سلوكه يؤثر على النفس فيجعلها طاهرة أو غير طاهرة. وبالعقل يدرك الإنسان أنه يوسم بالصلاح أو الطلاح حسب عمله الصالح أم الطالح فى الحياة الدنيا.

ثانيا: الثيوصوفية اليهودية أى معرفة الله من طريق التأمل ففيه أثبت بمبادئ الثيوصوفية التى استقاها من 'المعتزلة' معرفة الله من طريق التأمل فبرهن للممترين بالأدلة والبراهين خلق الله الكون من العدم واستحالة خلق الأشياء نفسها، بل إن محدثها غيرها وقد أحدثها من لا شئ.

واعتمادا على مبادئ 'الثيوصوفية' يعمل سعديا على إزالة أوهام من يرتابون فى معرفة الخالق نظرا لعدم استطاعتهم رؤيته فيؤكد أن كون البارى لطيفًا هى صحته وكون استحالة إدراكه بالعقل هى حقيقته. وقياسا على استحالة إدراك خروج شئ من لا شئ (وهو الخلق من العدم) تستحيل أيضا رؤية من خلق هذا الشئ.

ومن طريق التأمل في إطار "الثيوصوفية" ومتأثرا بمبدأ من مبادئ المعتزلة التى تؤمن بالتوحيد يبرهن سعديا على وحدانية الله بتدحيض نظرية وجود اثنين ويثبت ما يدل على أن الله الواحد هو حى قادر عالم فهى صفات للجلالة.

نبذة عن فكر سعديا الوارد فى المخطوط

وفى كل من السبيلين يؤكد سعديا بأن الله من لطفه وكرمه وجوده خلق الإنسان ومن فضل الله أن منح الإنسان وصايا الأمر والنهى لصلاحه وسعادته، ومن ثم يتحقق جزاء الثواب عند الطاعة وجزاء والعقاب عند العصيان.

منَّ الله على الإنسان بنفس وضعها فى الجسد وطبيعتها غير قادرة على العمل وحدها بدون مساعدة؛ لذا فهى تتخذ من الجسد وسيلة لأداء وظيفتها سواء بالطهارة أو بالنجاسة أو بالتوبة إن فاء المرء إلى رشده وندم وتاب.

وهب الله الإنسان عقلا يميز الخير من الشر، الصواب من الخطأ فهو يمتثل إلى الشرائع التقليدية (أى الشرائع التى أوحى الله إلى الأنبياء) وهو يتميز عن الحيوان بعقل يسوغ له الصلاح وينوء به عن الطلاح.

وفى إطار عرضه لما هو الأصلح أن يصنعه الإنسان فى دار الدنيا جادل سعديا اعتقاد[٤] المرء فى إيثار شئ من محاب الدنيا وإغفاله عن سائر المحاب حيث حصرها فى ثلاثة عشر بابا جمعها فى 'كتاب زهد تام' بهدف نصح وإرشاد القوم بعدم إيثار باب بعينه وترك الأبواب الأخرى بل التعقل في التمتع بها جميعا باعتدال وعدم تطرف أو إفراط (كتاب الأمانات والاعتقادات، الاصل العربى، تحقيق: لانداور، ص ص٢٨٦– ٣١٥).

الباب الأول فى الزهد

حيث انتقد سعديا هؤلاء القوم الذين يقتصرون على الزهد فى دار الدنيا والبكاء والحزن والنواح على دار الفناء هذه التى لا تدوم لإنسان بل تغدر به فتقلب فرحه حزنًا، وعزه ذلا، وسعادته شقاءً، وصحته مرضًا، وطهارته نجسًا.

فأخذ على عاتقه مهمة إرشادهم إلى الطريق القويم، فصحيح الزهد يعنى أن يقطع الإنسان علاقة قلبه عن الدنيا بالتجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإقبال بكل الهمة على الله تعالى (يتفق فى ذلك مع

(٤) استخدم سعديا مصطلح (اعتقاد/ اعتقادات) تأثرا بالفكر الإسلامى، حيث يفيد 'ما يجب علمه حسب الخواطر ، فإن خطر للمرء شك فى معنى من معانى 'الإيمان' وجب عليه تعلم ما يصل به إلى إزالة الشك' (أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة، مختصر منهاج القاصدين صـ١٤)

الغزالى، ميزان العمل ص ١٥٧). لكنه حاجهم فى أن 'الزهد' لا يعنى ترك العمارة فإن تركوها أغفلوا القوت والستر، بل وأهملوا أنفسهم لأن ترك الزواج يعنى قطع النسل وانقراض جنس الناطقين وبطلان الحكمة والشريعة والقيامة والسماء والأرض "وإنما حسن للإنسان خلق الزهد فى الدنيا يستعمله فى موضعه".

الباب الثانى: فى الأكل والشرب

حيث جادل سعديا هؤلاء القوم الذين يعكفون على الطعام والشراب ويعتبرون أن الغذاء هو فقط قوام الأبدان والنفوس ونمو الأجسام وإقامة النسل وهو عنصر مكمل للأفراح والاحتفالات بخطبة وعرس وختان ونفاس، لكنه حاجهم فى هذا الاعتقاد المفرط، فإن كثرة الطعام تكثر التخم وتثقل الأعضاء وتملأ الرأس والعينين وتحرك الغشيان بإسراف وتورث القلب بلادة وتغير خلق الإنسان إلى الشره والنهم. وإن كثرة الشراب تجفف الدماغ وتفسد الحكمة وترخى العصب وتصيب بالارتعاش وهيجان الدم والحمى المطبقة واندراج خمل المعدة ونكس الكبد وتسبب الأوجاع الشديدة. وفوق ذلك كله فإن الشراب يدفع المرء إلى ارتكاب الجرائم والمعاصى والفواحش." وإنما حسن للإنسان تناول قوته الذى يقيم به جسده".

الباب الثالث: الغشيان

حيث جادل سعديا اعتقاد قوم بأن الجماع يجب أن يؤثر على جميع محاب الدنيا فهو يزيد فرح النفس وينشطها ويخفف أوجاع البدن ويسكن غضب الإنسان ويذهب عنه الأفكار الرديئة وينفع من المالنخوليا ويزيد الألفة بين الناس.

وحاجهم سعديا في هذا الاعتقاد المبالغ فيه حيث أهملوا مضاره ومنها أنه يسقم القوة ويرخى البدن ويعجل الهرم. "وإنما حسن للإنسان أن يطلق شهوته بعقل فى وقت وجوبها ليقيم بها النسل".

الباب الرابع: العشق

وإن تَحَرَّج سعديا من الخوض في الحديث عنه استدرك قائلا إنما جاء بذكره لكي تتقى القلوب من شبهاته. فجادل اعتقاد قوم بأن العشق يلطف الروح ويرق المزاج، وانتقد ادعاء بعض بأن الخالق خلق أرواح الخلق كالكريات ثم قسمها نصفين وجعل كل قسم في إنسان فمن أجل ذلك صارت النفس إذا وجدت قسمها تعلقت به بل جعلوه كالفرض " إنما أبلى العباد به ليعرفهم التذلل في المحاب ليتذللوا لربهم ويعبدوه".

الباب الخامس: في جمع المال

حيث جادل سعديا اعتقاد قوم بأفضلية الانعكاف على جمع المال فى دار الدنيا فتأمل كلامهم وأيد منه ما يأتى الإنسان طوعا وعفوا. وأما من يأخذ في طلبه فهو في تعب الفكر وكد الروح وسهر الليل وشقاء النهار، وإذ جعله الإنسان قصده استكلب عليه وشره إليه، فيصير كالنار التى لا تشبع " إنما حبب إلى الإنسان جمع المال ليحفظ ما رزقه الله من حله ولا يضيعه".

الباب السادس: الأولاد

جادل سعديا اعتقاد القوم بالجد في طلب الولد لما في ذلك من مهجة في النفس وقرة للعين وفرح وسرور" وحسبك أن كل جليل من الأنبياء التمس كونهم".

فتأمل سعديا ما قالوه فوجد صوابه في البنين الذي يرزق الله عبده وليس في تكريس كل الجهد في طلبهم" أين ألم الوالدين وأين عذاب الحمل والطلق والولاد والنفاس والأمراض الخ".

الباب السابع: العمارة

جادل سعديا اعتقاد قوم بأن عمارة الدنيا هي أفضل ما يتشاغل به الإنسان ففحص سعديا اعتقادهم وتعجب لما فيه من مغالاه، فإن اقتصر الإنسان على باب العمارة وقع في الكد والشقاء والغم والهم وإنفاق كل ما له ولغيره حرصا على تمام ما ابتدأه. " وإنما حببت العمارة إلى الإنسان ليصلح منها مقدار ما يحتاجه".

الباب الثامن: الحياة الدائمة

جادل سعديا اعتقاد قوم بأن أفضل ما يلتمسه الإنسان في دار الدنيا العناية بطول العمر فإن طول الحياة يصل بالإنسان إلى كل ما يريده من أمور الدين وأمور الدنيا، وأسباب الحياة عندهم الانكباب على الأكل والشرب والحرص على طيب النفس وتحاشي الأهوال والمخاوف.

"ولعمري إن هذه الأحوال تصلح الجسم لكنها ليست أسباب الحياة فحياة الإنسان كلما طالت كثرت همومه وغمومه وشدائده وتزايدت عليه الذنوب والخطايا فهو في طفولته جاهل فإذا صار إلى الصبا انتقل إلى الفساد فإذا صار شابا دخل في الكد والتعب فإذا بلغ الشيخوخة زال كل ما تمناه، فالصالح يحب الحياة فقط لأنها درجة توصله إلى دار الآخرة".

الباب التاسع: فى الرياسة

جادل سعديا اعتقاد قوم بأن أجل ما يستعمله الإنسان في دار الدنيا الشمخ والتعظم والترؤس (الرياسة) فهي تسر النفس وتزيدها نشاطا ويلذها الأمر والنهي.

ويثبت سعديا ما غفلوا عنه من ضرر التشامخ والترأس، فإذا شمخ الإنسان وعظم تعدى طوره فيسطو على الأقرباء والأباعد فتفسد دنياه بل ويكثر حساده ومعادوه.

" وإنما غرس الخالق في النفس محبة الشرف والشمخ لتشتاق به على (إلى) ثواب الآخرة".

الباب العاشر: التشفى

جادل سعديا اعتقاد القوم بأن أفضل ما يقصده الإنسان في دار الدنيا أن يتشفى من أعدائه، فالتشفي– في نظرهم– يزيل عن النفس غمًّا ويقضي عنها كربًا ويلذذها بما تراه بعدوها ويسكن الحدة ويزيل التفكر الكثير ويمنع عددا ثانيا من الإقدام على ما أقدم عليه الأول. وحاجهم سعديا في هذا الاعتقاد بأن التشفي يوقع المرء في تدبير المؤامرات ، فإن وقعت النفس في التدبير على العدو وقعت في البحر الأسود ، وإن تم للمرء ما طلب أوقع نفسه في شديد عقاب الله وعداوة الخلق.

" وإنما غرس في النفس محبة التشفي ليؤخذ بحق الله من المفسدين في البلاد وينصلح الحال".

الباب الحادى عشر: فى الحكمة

حيث جادل سعديا اعتقاد قوم بأنه لا ينبغي أن ينشغلوا في دار الدنيا بشئ سوى بطلب الحكمة فهي تنأى بالمرء عن الجهل وتصل به إلى المعرفة والعلم بما في السماء من الكواكب والأفلاك وغير ذلك. فأدرك سعديا يقين ما وصفوا به الحكمة لكنه يحذر قومه من الزلل بالانشغال بالحكمة عن غيرها كالقوت والكن والستر وسائر حاجته في الدنيا " وإنما حببت الحكمة إليهم لتعضيد حكمة التعبد بحكمة البناء وعمارة الدنيا".

الباب الثانى عشر: العبادة

جادل سعديا اعتقاد قوم بأن أفضل ما يشتغل به العبد في دار الدنيا عبادة ربه فقط وذلك بأن يصوم النهار ويقوم الليل ويسبح ويمجد ويدع الدنيا بأسرها فإن ربه يكفيه أمر قوته ودوائه وسائر حوائجه. وحقيق أن في العبادة لذة وفرح وسرور لكن لا ينبغي الانفراد بها وحدها" فإن لم يعن بالغذاء لم يثبت الجسم وإن لم يعن بالولد لم تكن العبادة من أصلها لأن الجيل إن انقضى ماتت معه العبادة وإنما العبادة لآباء وبنيهم وبني بنيهم".

الباب الثالث عشر: فى قول من زعم أن الراحة أفضل ما استعمل.

قال قوم إن الراحة سبب لاستباقة النفس لنفسها وإن تنفذ غذاءها وإن ترب جسمها وإن سكون الفكر بترك القلق والهم والغم. يقول سعديا إن الراحة إنما تنتظم للإنسان بعد العناية الوكيدة وإحكام حوائجه وإصلاح أسبابه، وأما الراحة المفردة بلا شيء فإنما هي راحة حاصل معناها الكسل والكسل يؤدى إلى الفقر والحاجة " وإنما نجد النفس تسكن إلى الراحة لأن خالقها جعلها لها تذكيرا بالإقرار (والطمأنينة) الذى فى دار الآخرة وترغيبا فيه".

نخلص من هذا أن " الزهد " في نظر سعديا لا يعني الانقطاع عن دار الدنيا والانصراف عنها والاكتفاء بالبكاء عليها فهي دار فناء أو الاكتفاء بالسعي إلى دار الآخرة فهي دار بقاء. بل يعني أن يعمل المرء ويكد فيها ويجتهد رغبة في اتقاء شر الفقر والحاجة وأن يعمل على عمارة الدنيا حفظا على جنس الناطقين. وأن يتعفف عن المعاصي بمحض إرادته وبقوة عزيمته إيمانا بالله وبثوابه وعقابه في دار الآخرة ، وأن يغترف من الحياة ما يكفيه شر الذل والهوان ، وأن يعيش الحياة الدنيا دون الانغماس كلية في ملذاتها ومباهجها ودون الحرمان التام من التمتع بها فالاعتدال هو الحل الأمثل وذلك باستخدام خُلُق" الزهد" دون مغالاة.

ولعل نظرة سعديا إلى "الزهد" تأثرت بمفهوم "الزهد" فى الإسلام وخلاصته تثبيت أصول الإيمان الثلاثة فى النفس.

أولا: الإيمان اليقيني بالله تعالى

ثانيا: الإيمان بالنبوة: بأن يقتدي المرء بالأنبياء فيتبع منهجهم في بلوغ أسباب الهداية بتجنب الخلق البغيض والإحجام عن الطبع الخبيث.

ثالثا: الإيمان بالآخرة: أن يرغب المرء في التقوى ، ويُنَزِّه نفسه عن الشهوة، ويعرض عن دار الغرور، ويصبو إلى دار الخلود ، ويشتغل بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب ، وينبذ طلب المال والجاه ، ويسمو إلى مرتبة إبهاج قلبه بذكر الله تعالى ، ويحجم عما يشغله عن عبادته الواحد الأحد لا شريك له.

ولا يعني "الزهد" عزوفا عن الدنيا أو تعذيبا للنفس، بل العروج بها إلى الصراط المستقيم دون حرمانها من ملذات الحياة ومباهجها.

وحرى بالذكر أن المخطوط (وكذلك النص العربي) استخدم مصطلحات في غير مفهومها المتعارف عليه في 'الزهد' وعلى سبيل المثال مصطلح" السيح" في النص العربي (משוטט في المخطوط) فصحيح أنه يدل على المرور في الأرض لأخذ العبرة من النظر فى الكون وما خلق الله فيه من أشياء وذلك بالرحلة والسير في البلدان (التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامى ص ٦٤). أما فى باب "الزهد" فيندرج المصطلح تحت الصوم الحُكمى أى حفظ الجوارح عن المعاصى كالسمع والبصر واللسان، فالسائح هو الذى يصوم هذا الصوم (الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن ص ٢٤٦).

* مصطلح 'السكن' (لا يسكن فى النص العربى، יצא מבתיהו فى المخطوط) فصحيح أنه يعنى قطن، أقام ، أما فى باب 'الزهد' فإن 'السكن' هو الهدوء ، السكون ، الطمأنينة، الألفة.

قراءة مخطوط "كتاب زهد تام" متضمنة تمهيد "المقالة العاشرة"

פתרון המגלה העשירית והוא אשר פירש בה החכם איזה דרך הטובה שידבק בה האדם ואיזה מעש יאה[----] לו בעולמו . התחיל החכם וא'מ' הרבה חכמים ומליצים נשאו[----] בזה הענין ופלפלו ודקדקו בזה המדע והמליצו והתבוננו בזה החפץ ומעט מהם הגיעו אל תכונת האמת והבינו תורף הצדק והשיגו ארח היושר ולפי זאת אבאר בראש זאת המגלה ואומר ידוע ומבאר בקנצי השכל וראיות האמת שהיוצרי ת' שמו אחד ואין שני לו כמו שביארתי במגלות האחרות בקנצים חסינים וראיות אמיצות וכיון שנתברר למדע השכל ית' זכ' אחד ואין שני לו יחיד ומיוחד אחד בודאי שאין בו ממשים עמותים ויחיד באמת צמודים חלקים ואין בו שנים שותפים לכך ראוי שיהיו היצורים נעשים ממשים הרבה ומחוברים מחלקים עדופים מפני כי שביאות היצורים ורבוים ראיה על יחידות היוצר וודאיתו ומקניצים שהוא יחיד באמת אחד בודאי כמו שפירשתי בענינים אחרים המפרשים במגלות האחרות בראיות מצוחצחות לכן אני מפרש בתחלת זו המגלה ואומ' כל אחד מן הממשים וכל (121) חד מן האחרים הנראים א'ע'פ' שהם אחד במספר ובמנין כבר הם בעצמם חלקים רבים והמשנית בהם והרואה אותם ימצאם יחדים במראיהם וכיון שיחשב בעניניהם וידקדק בהם ידע שהם חלקים רבים ופלוגים יתירים. ואפרש קצת מזה הכלל ואומר ידוע שכל הממשים הנמצאים והגלמים הנראים והגושמים הברואים וכל אחד ואחד גושם בפני עצמו ויחיד במראיתו וכיון שיעיין וידקדק בו האדם ימצא בגושם ההוא היחיד ארבעה פתוכים חום ולח וקר ויבש וכן גושם האילנים א'ע'פ' שהוא אחד כבר הוא מורכב ממינים הרבה מענפים וגזעים ושרשים ועלים ופירות ושתלים והדומה להם וכן גופו של אדם א'ע'פ' שהוא גושם אחד[1] בפני עצמו כבר הוא מחובר מבשר ועצמות וגידים ועורקים ועוד וחלב ושער ושזרות [----] וצפרנים וזה הדבר גלוי וידוע ומבואר לעין באמת ובודאי ואין איש יכול לכחש ולשקר ולכפור באמיתת זה המדע מפני שאין בו לא ספק ולא דמאי ועל זה הבנין וזה המטבע וזה החבור נעשו היצורים ונתקנו הברואים מפני שכשם היוצר ית' ז'כ' אחד מיוחד כך מפעלותיו רבים ועצומים וכן כתוב רבו מעשיך יי' וגו' וכן ממשי השמים נעשים ונתקנים ונחברים מן ממשים רבים וחלקים יתירים ומשיעורים עדופים ומצורות מתחלפות וזיזות משתנות וצבעים נצבעות גונות גונות במזלים וכוכבים ורקיעים רבים ועצומים בלי סך ומספר ומנין ובהקבץ אותם בכללים ביחד נקראו נקראו שמים וכן כתו' עשה עש כסיל וכימה וגו' כת' אל צאנע בנאת נעש ופיתול ואל תוריא ואל כדור אל גנוביה וכיון

(1)כבר הוא מורכב: جملة مكتوبة ومشطوبه

שפיר' זה הענין כהוגן אשוב ואומר וכיון שגופו של אדם מחובר ממינים הרבה כך יש בגופו חיים רבים מתחלפים ובחינוכים ההם הוא אוהב דברים הרבה ובם הוא שונא דברים הרבה ככת' רבות מחשבות בלב איש. וכשם שאין גולמם של ממשי' וקפואים מתקיימים בפיתוך אחד ולא בטבע אחד וכן גולם האילנים אינו עומד ואינו מתקיים ואין צמיחתו מותמדת לא בחלק אחד ולא בענף וכן גולם האדם אינו חי ואינו מתקיים לא בעצם אחד ולא בגיד אחד ' וכן אין השמים מאירים ולא מנהירים בכוכב אחד ולא במאור אחד . כך אי איפשר שיהיה האדם מתנהג בעולמו במנהג אחד ולא מרגיל את עצמו בתאוה אחת ואי איפשר שיהיה נוהג במפעליו במחשבה אחת ואי איפשר שיכלכל מעשיו במשפט אחד ולא מתקן אורחותיו בתיקון אחד ולא מחנך את נפשו וגופו בחנוך אחד כל ימי שנותיו (121b)וכשם שהגלמים והגושמים והממשים מתקיימים בה תוספת קצת מן הפיתוכים ובהחסר קצר מהם וכיון שיחסרו קצתם ויוסיפו קצתם יתקיים הגוף מפני כי אי איפשר שיהיו פתוכי גולם וטבעיו לא כולם יתרים ולא כולם חסרים אבל כך ראוי שיהיו בחסר וביתר כך בהקבץ כל החינוכים שבאדם בחסר וביתר באהבת דבר אחד ושנאת דבר אחד ויהיה האדם ההוא אוהב כלום או שונא אותו פעם בכלל ופעם בפרט פעם בחסר ופעם ביתר וגם יהיה נוהג בכל תאוה וחשק וחפץ שיתאוה ויחשק ביושר ובצדק בעת ההיא ימלא צלחון האדם ויושר נחו ויעשה פעלו וירצה חינוכו וישפר שכלו ותתיפה נפשו ויצלח במעשיו וינקה גופו ויהיה דומה לאדם שהגיש את חינוכיו וחפציו למשפט ושפט עליהם כראוי וצדק עלימו את הדין וכן כת' טוב איש חונן ומלוה וגו' וגם יהיה דומה לאיש אשר שקל את חנוכיו במאזנים ופלס אותם בפלס וכן כת' פלס מעגל רגלך וכיון שיעשה אדם עם חנוכיו זה המעשה ויתנהג עם תאוותיו וחפציו זה המנהג יצליח בכל דרכיו וישכיל בכל מעשיו ובעבור דבר אחד הקדמתי זה הענין זאת המגלה בעבור שמצאתי קצת אנשים חושבים ואומרים ראוי על האדם שיחנך עצמו בחינוך אחד וירגיל את עצמו בחפץ אחד וחייב הוא שינהג כל ימי חייו במנהג אחד לעולם יהיה אוהב א חפץ אחד יתר מכל החפצים וחושק אחד יותר מכל החנוכים . וגם

יהיה שונא כלום אחד יותר מן האחרים ויתעב חשק אחד יתר מכל החפצים וכיון שבחנתי דבריהם וצרפתי אותם מצאתים בחקר מדרגת הטעות ובנצח הבלי הבטל בשביל דברים הרבה. אחד מהם היתה אהבת כלום אחד ועגיבתו יפה לאדם ונאה לשכלו כבר לא ברא הבורא ית' זכ' בחינוכי האדם אהבת כל כלום ועגיבת כל ממש ואלו היה הדבר הזה ראוי וכשר כבר היה איפשר שיהיה האדם נברא מן פיתוך אחד וחלק אחד והיה טבוע על טבע אחד וקצב אחד ולא עוד אלא שאלו היה כשר שיתחדש האדם מן ממש אחד ועיקר אחד כבר היה איפשר שיתחדשו השמים והארץ מטבע אחד וממש אחד וא'כ' בטלו הבריות והיצורים וכשם שאין אדם מתקיים במין אחד כך אי איפשר שיתקיים בחיתוך אחד וכן כל המלאכות והאומנות הדקות והגסות אינם מתמלאות ולא מתכוננות ולא נתקנות בחלק אחד ולא (122) במפעל אחד ולא במחשבה אחת אלא הם צריכים למצות ומחשבות רבות כגון הבנין שאינו מתכונן ולא נתקן מאבן לבד ולא מסיד לבד ולא מטיט לבד ולא ממים לבד אבל בהקבצם יחד יבנה ויכונן[.....] כל המטעמים והמאכלות והמשקים והמלבושים ושאר החפצים והצריכים אינם נעשים ולא מתכוננים ולא מתיפים אלא בהקבץ פרטיהם עם כלליהם ביחד לפיכך ראוי על האדם שיפקח עיניו ויתבונן באלו המעשים הפרטים אשר מתכוננים ולא נתקנים בכולם אחד ולא בחלק אחד וא'ע'פ' שהם מזומנים ומכוננים לצרכי האדם וחפציו נפשו וגופו כל אדם על אחת כמה וכמה. שאי איפשר שיתקיימו ויצלחו ויתיפו בחינוך אחד או חפץ אחד וראוי שאפרש קצת מאלו החפצים והחינוכים ואומר ידוע לכל בעלי שכל ודעה שיש לאלו החינוכים צער ועצב מרים וקשים ומכאובים עצום וחזק כמו שאני מפרש יש אנשים שחייבו עצמם כדי שיהיו תמיד משוטטים בהרים והולכים במדברות ומתוך זה הדבר נשתטו ונשתגעו וקצת מהם האכילה והשתיה ואהבו אותם יתר מראי ומתוך זה הדבר באו לידי חולי בני מעים ולקו בחולי בטנם ומרע כרסם וקצת מהם סרהבו עצמם בקבוץ כסף וזהב עד שבאו לידי עניות מפני שהרבו גזלות היתומים והאלמנות ונעשו רשים ואביוני [ם] וקצת מהם היו מתעסקים בריב ומחלקת ומלחמה ואהבו אותם יתר מכל הנבחרים ומתוך כך לקו בעצמם ואבדו נפשם וממונם וכדומה להם בענין מה שאני מפרש באמצע זו המגלה ועוד אקדם פי' ענין אחד ואומ' ידוע ומבואר שהאדם צריך בכל מעשיו ומפעליו ומחשבותיו לשכל וחכמה ותבונה ובדעת הוא תמיד מתיעץ ומתבלבל ומחשב ובכל מפעלותיו ובשכל הוא מסובר ומתוקן כל עצותיו ובם הוא מישר דרכיו ומברה מחשבותיו ומיפה מעשיו וכן כת' בהתהלכך תנחה אותך וגוי וראש זה הדבר ותחלתו ראוי על האדם שיהיה רודה על כל חנוכיו שולט על כל חפציו ומושל על תאותיו מפני שכל אהבה ושנאה שכל אדם אוהב ושונא יש להם עתות שאיפשר לעשותם ויש להם עתות שאי איפשר לעשותם בשביל שיש לכל דבר מקום וזמן ולפיכך חייב האדם שיקיים כל אחד ואחד במקומו ויעשה אותו בזמנו הילכך ראוי על האדם כיון שידע שיש פנים לעשות חפץ חינוכו וחשק תאותו ותהיה עת עשייתו ראויה ויהיה מקומו מצוי ותהיה עשייתו יפה לו ראוי לו שיתן רשות לנפשו כדי לעשות חשקי (122 b) החינוך ההוא וחפץ התאוה ותהיה עשייתו לו כשיעור דייו וכמדת צרכו וכקצב ספקו באמת ובמשקל ובפלס עד אשר יתם חפצו וימלא צלחונו ותמצא בקשתו ואחר כך יכבשהו ויכניעהו וכל זמן שידע שאין פנים לעשות החפץ ההוא וגם אי איפשר לו להוציאו מלבו ואין יפה לו להשליט חנוכו על עשיית חפצו כבר חייב הוא שיעזבהו ויכבשהו ויכניעהו עד אשר יעבר מעליו הפחד ההוא ויסור מלפניו המכשול ההוא ויעדה ממנו המחשבה הרעה ההיא עד אשר[1] שתרגע תאותו וישקוט פתוכו ולפי זאת ראוי על האדם שיהיה רודה על חינוכי עצמו ותאות נפשו כדי שיוכל לכבוש אחד ולהתיר אחד וכן אמ' הכתו' טוב ארך אפים מגובר וגו'[1] אחרי הדברים האלה אפרש ואומר שיש לכל נפש ג' יכולות ואלו הן התאוה והתבונה והרוגז. וזה מנהגן יכולת התאוה נותנת לאדם תאות האכילה והשתייה והשמוש ויכולת הרוגז היא המגרה את האדם לעשות מלחמה ולהשיק מצה ומריבה ונוצרות אותו לעשות שררות וסלדות ומגרה אותו להפיל קטטה ומחלקת ולנקום נקמות ולקנא קנאות וללכת בגאוה וגסות וגבהות והדומה להם אלו מעשי יכולת הרוגז אבל יכולת התבונה היא הבוחנת את כל הממשים והשופטת על שתי היכולות האחרות והיא תמשל אותם הלכך כיון שתתערבב יכולת אחת ותשתגש ויוסיף חפץ [....] מעשיה וחינוכיה שום מעש שלא כהוגן או יגלה ממנה שום ערבוב וענות תבא יכולת התבונה לאלתר ותצרוף את המעשה הנעשה מן [....] ההוא ותבחון את החפץ ההוא ותבדוק את התאוה ההיא אם יודע לה שסוף המעש ההוא כשר ותבין שאחרית התאוה ההיא לטובה ולברכה ולהנאה ולתועלה בזמן ההוא הן לה רשות לעשות חפצה ותאשרה במעשה ותאמץ אותה בפעולותיה ותחדד אותה לקיים חשוקיה ותצוה אזהרה להתמים מפעליה אם יודע לה שיש במעש ההוא הפסד

וחסרון או בקצת המעש ההוא או באחרית התאוה ההיא או בפאת החפץ ההוא לאלתר תאסור עליה עשיית אותו המעש מתג השיגוב מונע אותה ותמשוך אותה בפרומביא של שכל ותעצור אותה בחדרי הדעת ותחדירה לעשות מעש אחד ותרהיבה ותוכיחה עד אשר תחזור מאהבת התאוה ההיא ותצוה אותה לעגוב עשות החפץ ההוא.לפיכך נתודע לנו שכל אדם שהוא יודע מנהג החינוכים האלה וגם מכיר את חק היכולת הללו ועם זאת [הוא] הוא משתדל ומתחזק כדי (123) שישים את תבונתו שולטת על תאותו וכעסו וגם מרשה את שכלו כדי שיהיה רודה על רגזו ועלוזו ומושל על רצונו ועשנו ושולט על גילתו ועל חמתו ונותן לו יד כדי שיכבוש אותם כבר הוא חכם ונבון ויודע מדעתו ומתיסר במוסר החכמה ובמוסר החכמים ועליו נאמר יראת יי' מוסר חכמה ולפני כבוד ענוה ועל אדם שהוא משים את כעסו וחמתו ואהבתו ותאותו שליטים ורשאים על שכלו ותבונתו כבר הוא כסיל ואויל בער ורשע מפני

(1) كلمة مشطوبة

שהוא מואס את החכמה ומבזה את המוסר וכן אמ' החכם חכמה ומוסר אוילים בזו. ואומ' וכעכס אל מוסר אויל ובלי ספק שכל בני אדם צריכים בכל עת וזמן לאיש חכם ונבון כדי שילמדם איזו היא דרך הטובה שידבקו בה וגם יבינם אי זו היא דרך הרעה שישנאו אותם ויודיעם איזה דבר ישנאו ואיזה דבר יאהבו עד אשר תיטב לבותם ותשמח נפשם וישקוט שכלם וכן עשה שלמה החכם ע'ה' בספר קהלת כיון שבקש ללמוד איזה מעש טוב ופועל את כל המעשים שנעשו תחת השמש ובאר כל מפעל ומפעל ופי' כללי המעשים ואיך יהיה סופם ואחרית אבודם ועם זאת לא בקש החכ' לומ' שכל המעשים הבל ורעות רוח מפני שאי איפשר שיאמר החכם על נוי תקון האלהים ועל יופי מפעלותיו ועל שפר מנהג חינוך בריותיו ויושר סברון ודברון כי יצוריו אשר ברא להם האלהים שכולם הבל ורעיון רוח אבל בקש לומר שכל מעשה וחפץ ותאוה וחינוך שיעשהו האדם לבדו ולחודו בלי שותפות החינוכים האחרים אותו המעש ההוא יהיה לו הבל ורעות רוח וכן אמ' על הפרדת מפעל אחד מכלל הפעלים ועל התמדת עשיית מעש לבד ועזיבת האחרים מעות לא יוכל לתקון מפני שכל חינוך וחינוך הנעשה מופרד ומוברר מבלי שותפות חברו כבר הוא מעות לא מדרך הכושר חסר מארח הישר אכן בהקבץ עמו חברו לא יהיה חסר ולא יהיה מעות אלא יהיה מלא ושלם וישר וראיה לזה הפתרון כי החכם ע'ה' כיון שבקש כדי לפרש כל חשקי העולם וכלל תאות האדם הזכיר מכללם ג' אופנים וכינה את כל אחד ואחד מהם שהוא הבל ופתרונו דרור רומה לו מהבילים המה אתכם יגרונכם וגם דומה לו אל תבטחו בעשק ובגזל אל תהבלו האחד מהשלשה דיבוק החכמה והתבונה ואהבתם לבד ושנאת שאר החפצים ועליו אמר ואתנה לבי לדעת חכמה ודעת הוללות וסכלות וידעתי שגם זה (123 b)רעיון רוח והודיע אותנו שמפני מה נקראת אהבת רעיון רוח ואמר מפני שכל זמן שחכמת האדם מתוספת מכאובו מתוסף בעבור שכל זמן שהוא מחפש ובוחן במעשי כל דבר ודבר יגלה לו דופי כלום וכלום דופי כל ממש וממש ושמץ כל מאומה ומאומה ורוב יתרון חכמתו הוא אפילו בזו המצודה וקודם מזאת היה שלו ושאנן ונוח מכאב ההרהור ההוא וכן אמ' הענין כי ברב חכמה רב כעס ויוסיף דעת יוסיף מכאוב . והאופן השני השמחה והששון הודיע ואמ' כל זמן שהאדם מתעסק בכל מאודו ובכל כחו תמיד בשמחה ובששון לבד כבר אינו טוב לו ולא יפה לו והוא הבל ורעיון רוח כמו שאמרתי אני בלבי לכה נא אנסכה בשמחה והודיע טיבת הדבר הזה ולמה נקרא הבל ואמר מפני שבזמן שישחק האדם ויצהל ירגיש מעצמו במעש מכוער וגנאי בשביל שיראה את עצמו שהוא מתחנך בחינוך הבהמות וכן אמ' לשחוק אמרתי מהולל האופן השלישי בנין העולם הודיע אותנו שכל זמן שהאדם מתעסק בבנין העולם לבד כבר לא טוב הוא לו והבל הוא וכן אמר הגדלתי מעשי בניתי לי בתים עשיתי לי גנות ופרדסים וכל הענין . והודיע טיבת זה הדבר ואמר מפני שהאדם יגע בו ועמל בו ביותר ובסוף הוא עוזב אותו לאדם שיהיה אחריו וילך עמלו ויגיעו לבטלה והבל וריק וכן אמ' ושנאתי אני את כל עמלי שאני עמל תחת השמש וקרא אותו הבל וכיון שגמר . שלשה השערים האלה והתמים פירושם עזב זכר עיגובי האדם ותאות העולם כדי שלא יסתרהב בפירושם ויעזוב מה שהוא צריך לפרש ומה שהוא חפץ לצוות ולהזהיר אבל בג' השערים האלה [....] את האדם כדי שיתנהג בכל דרכיו ובכל מעשיו ביושר בצדק ואמת וילמד קצת מן החכמה וישמור קצת הנעם והתעדור ולא יעזוב מלהשכיל ולהבין בכל הצלחותיו למען שימלא צלחונו ויכשר פעלו וכן אמ' תרתי בלבי למשוך את בשרי אחר הדברים האלה אני חפץ להכליל מכל שערי החפץ והתאוה והחינוכים י'ג' שערים ואפרש בתחלה (דברי המחייבה) את בני האדם לעשות כל ימי חייהם חינוך אחד וחפץ אחד . ואחר כך אבאר את הענינים אשר נעלמו מהם

ואשר עזבום וגם אודיע באחרית כל שער ושער כיצד חייב אדם לעשות אותה התאוה וכיצד ראוי עליו לנהוג באותו החינוך ובאיזה עת איפשר לו לאדם לעשותו וכדי שאני סובר שאלו (124) קבץ אדם כלל מה שזכרתי באחרית כל שער ושער היילוד והבנין והחיים והעושר והשררות והנקמה ממה שעזבו אותם בעלי הדת ההיא כבר נעשה ספר שלם ומגלה תמימה מלאים פרישות וחסידות ובתחלה אפרש שמות השערים ההם ואלה שמותם הפרישות והאכילה והשימוש והעיגוב והעבודה והחכמה והמנוחה אלו רהבי העולם וגם אני מבקש שאפרש בכל שער ושער כל הקשים המחייבים [.....] ממדע השכל ואבאר הקנצים המגנים אותו הם המיפים אותו מיראת החכמה והשער הראשון שער הפרישות זוהד

קצת אנשים אמרו צריך האדם שיהיה כל ימי חייו מואס בעולם הזה פורש עצמו מכלל הצלחותיו וראוי עליו שיהיה משוטט בהרים ובמדברות בוכה ומתאנה ומקונן ונוהה וכופר ומילל על זה העולם מפני שזה העולם תמיד מתהפך על היצורים ומתחלף על הבריות ומשתנה עליהם מרעה אל רעה ומהפכם ממהומה אל מהומה ומגרה עליהם את הצרות ומסיעם מתלאה לתלאה וממצוקה למצוקה ובשעה שהאדם שמח וש שוקט ובוטח מתעיין בטובות ומעיג בנעימות ולבו שאנן ברוב עלץ וגילה בזמן ההוא וברגע ההוא יהפך עליו זה העולם בפתע פתאם ויהפך ששונו ליגון ויעשה את שמחתו אנחה וימיר את גילתו לדאגה ויחליף את טובתו לרעה וישנה את צלחונו לתוגה וישית את חמדתו לתלאה וישים את רוחתו למצוקה ויתן את עשרו לדלות ואת גדלו לשפלות ואת מלכותו להבלות ואת גאותו למבוכות ואת אורו לחשכות ואת שלותו לסכסכות ואת הודו לשחרות ואת כבודו לקדרות ואת יפיו לכערות ואת שכלו לטפשות ואת עשרו לרשות ואת תקותו ליאשות ואת חכמתו לסמיות ואת הונו לעניות ואת צהלתו [לדו...] וכן הכת' אומר עשיר ישכב ולא יאסף עיניו פקח ואיננו תשיגהו כמים בלהות לילה גנבתו סופה ישאהו קדים וילך ולא עוד אלא שאלו השתדל האדם בכל מאודו כל ימי חייו כדי שיהיה חכם בקי בחכמה כבר היתה אולתו מתערבבת אותו ומחשבתו משגשגת אותו והרהורו משבש אותו ועצתו מבלעת נשמתו ואם ביקש שיהיה גופו נקי ויהיה עצמו תם ויהיה גלמו בר ותהיה נפשו זכה ולבבו זך. ואף כבר היתה טמאתו מזהמת אותו וטנופו מטנף גופו[1] וצחנתו מבאשת גלמו וסריחתו מצחנת גשמו ומומו מכער עצמו וגם אלו חפץ שיהיה [בא] בריא היו הנגעים והחליים ממיקים אותו ממיקים (124 b) את בשרו ומכאיבים את גלמו ומצערים את גופו ומפסידים את גויתו ומדכאים את עצמותיו ואם בקש שיהיה לביב [נ] הפך שכלו לערבוב ואם יתאוה שיהיה מליץ ונבון נעשה משתגש בעלבון ואם חפץ שיהיה שכל היתה הכסלות עושה אותו כסיל ואם חפץ שיהיה מהיר ובקי היתה האולת עושה אותו אויל ואלו השתדל בכל מאודו שיהיה בלשן ומפלפל היתה לשונו מפלה אותו בטעיות וספיקות ואלו בקש שיהיה בעל מדע היה טפשו מכריעו לתוך רע ואם בקש שיהיה מליץ יושר כבר היה פיו מפילו לתוך מצורות רעות ומצוקות קשות וכן אמ' אם אצדק פי ירשיעני ולא עוד אלא שאין איש בעולם יודע מה שעתיד להיות עליז אף אינו מכיר מה שהוא מתילד בימיו גם אינו מבין מה שהוא מתחדש עליו בזה העולם מן המהומות והתלאות והצרות והמבוכות והחליים והעניות והדגאות והיגוניות והשכול והבהלות

והחלחלות והחסרונות והאנחות והתיעות והאבלות ושאר הרעות וכן אמ' החכם אל תתהלל ביום מחר ולא עוד אלא שכל זמן שהאדם אוהב את זה העולם כבר העולם שונא אותו ומאייבו ומעציבו ומכאיבו ומרבה עמלו ומכפיל דחקו ומעדיף יגיעו ומוסיף עשקו וכל זמן שהאדם מתחזק בו הוא

(١) تبعتها كلمة وتهليتو ثم شطبت

נוטר אותו ומרשילו ומרשיש כחו. וכל זמן שהאדם עוגב אותו והוא מכשילו ומשליכו ומהפכו ומסכסכו ומהבילו ומדלילו ומחלחלו ומתאילו ומפילו .וכל זמן שהוא מתאמץ בו אם היה שבע הוא מרעיבו ואם היה רוה הוא מצמיאו ואם היה דשן הוא מרבה שיקוקו ואם היה שמן הוא מכחלישו ואם היה חזק הוא מחישו ואם היה גבור הוא מכשילו ומתשישו ואם היה בריא הוא מחליאו ואם עשיר הוא מרשישו ואם היה מודה ועולץ הוא מדאיגו ומשים את תקותו למפח ותוחלתו למספה וכן כת' אשר יקוט כסלו וגו' ישען על ביתו ולא יעמוד וכל יום ויום כל ימי היות האדם בזה המדור כבר הוא מדבר שקר וממלל כזב ומרבה און ועמל ומכפיל תך ומרמה ומוסיף עול ואשמה ומעדיף גזל (וחמה)ועושה פשע ורשע כל ימי חייו ככת' ורהבם עמל ואון וגו' וכמה גבורים הכשיל וכמה אמיצים הרשיל וכמה נדיבים השפיל וכמה עשירים הדליל וכמה אבירים השליל ככת' אשתוללו אבירי לב וגו' וכמה ראשים הכניע וכמה סגנים הכריע (125) וכמה גאונים הנחית וכמה מלכים הפיל וכמה יקרים הדליל וכמה נכבדים המאיך וכמה אדירים המריך וכמה חמודים החטיף וכמה שרים החתיף ככת' לחלל גאון כל צבי וגו' וכמה אנשים צבו לשמחתו והמריר להם חדותו וכמה אנשים יחלו ממנו עדנה והמזיג להם לעגה וכמה אנשים חמדו תמימות נעימתם ונהפכה למפח תקותם וכמה רעים אהבו התמדת אהבתם ונעשתה להפך תוחלתם וכמה אנשים קוו אריכות שנותיהם ונכרתו ימי חייהם וכמה אנשים קיו לחזות אור עולמם וקדר בפניהם יומם וכמה אנשים פתחו עיניהם לאור המאורות וחשך עליהם האור ונהפך לקדרות וכמה אנשים בטחו על חילם ונקוטו כפלם וכמה אנשים קוו לנהורה והלכו באפילות צל מות ככת' כי טוב קויתי ויבא רע וכמה אנשים כתתו אותם המהומות וחתתו אותם הצרות ושברו כוחם התלאות ודקדקו חילם המצוקו [ת] ושחרו פניהם היגונות וכערו יפים האנחות והכניעו אותם הדחוקות וכלו את כבודם המבוכות והמרירו חייהם הבהלות ואבדו אותם ההוות עד אשר טבעו בעמקי הלחץ וצללו במצולות המבוכות וירדו לתחתית המהומות ונשחתו בגלי העצבונות ודללו תחת משברי היגונות ושטפו אותם נהרי האנחות וכן אמ' הנביא עלי ממכה חמתך ולא עוד אלא שרוב העונות וכלל האשמות והחטאות בזה העולם נעשות ונהיות ובנטישת זה העולם נמצאו התגמולות והנעימות ובשביל מעשה זה העולם הנעים נברא יום הדין ויום החשבון ונקמת העולם הבא ובתוך זה העולם איפשר שיפול בין האדם ובין צורו מריבה וקטטה ושנאה ואיבה עד אשר יהיה קונו מרוב אפו עליו אויבו ושונאו ויהיה צורו טורף אותו ומאבדו וחוטף אותו ומאספו כשחל הטורף וכאכזר החונק אותו מבלי חמה וחמלה ככת' ויגאה כשחל תצודני ועוד אמ' הנה יום [יהוה] בא אכזרי ועברה וגו' בכן אמרו אלו האנשים ראוי על האדם כיון שהוא רואה את אלו המהומות המתרגשות בעולם כדי שימאס בזה העולם ולא יבנה בו בית ולא יטע בו אילן ולא יזרע זרע ולא ישא אשה ולא יוליד בנים ובנות אף לא ישכון בין הבוחרים באלו הדברים גם לא ידור בין האוהבים אותם אף לא יגור בין החפצים בבנין והזרע והיילוד למען שלא ילמד אורחותיהם ולא יעשה כמעשיהם ולא יתחנך (125 b) בחינוכיהם וראוי עליו שיפרד מהם ויצא מבתיהם ויהיה משוטט בהרים ובמדברות בוכה ומתאנח ויהיה אוכל מעשבי הרים ומדשאי המדברות ויהיה תמיד מקונן ומספיד על זה העולם עד יום מותו עד אשר ימות מאנחתו על זה העולם עיינתי בדברי האנשים האלה ונתברר לי כל מה שאמרו בשביל יגונות העולם הזה ואנחותיו ומהומותיו וצרותיו בלא אמת אבל טעו באשר אמרו שאי אפשר לבנות ולנטוע מפני כי האדם צריך למחסה מן [...][1] ולמסתור מן החום ומן הקור וצריך האדם למזונות ומטעמים וכן שלא יבנה מסתור ולא יהיה לו מחסה וכאשר לא יטע לא ימצא מזון וכיון שלא ישא אשה ויוליד כבר בטל העולם ונכרתו התולדות ונשחתו הבריות ואילו היה[2] אלו המעשים חייבים וראויים מן הוראת השכל ועשו אותם כל באי העולם כבר לא נשאר אדם בעולם ולא נותרה נשמה ובטלה החכמה ונתחלפה הבינה ונסתלקה התורה ונעדרה התבונה ובטל יום הדין ואבדו השמים והארץ ולא עוד אלא שאילו היה האדם שרוי בלי בית ובלי מסתור כבר היה גר תמיד בסכנה ובצער ירא מן החיות הטורפות ופחד מן הנחשים והתנינים וגם היה מסתכן ומצטער מן החום ומן הקור ושאר

המהומות וגם היה גופו ופיתוכו משתנה ומתהפך לשחף וקרח ושרב עד אשר יהיה שוטה ומשוגע מפני שנעדרו ממנו המאכלות הטובות והמתוקות והרכות והעלובות ממנו המשקים הרכים והמים הקרים ובהעדר ממנו המטעמים והעידונים ישתרב דמו ויבש עצמו ויתערבב פיתוכו ויחלה גופו ויכאב גלמו ובעת ההיא יצרך לרפואות ותרופות וסמים עד אשר יתרפא ברפואות אנשי המושבות ובסמי אנשי המדינות ואיפשר שירפא ואיפשר שלא ירפא ולא עוד אלא כיון שיפרד האדם מבין בני האדם וידור בהרים וישב במדברות בעת ההיא יהיה דומה לפראים ולערודים השכנים במדברות ובזמן ההוא יהיה דומה לפראים ולערודים[3] השוכנים במדברות ובזמן ההוא יהיה האדם כיון שיראה ידוד (١) كلمة ناقصة يحتم السياق وجودها

(٢) الفعل مكتوب بالهاء فى المفرد وصحيح السياق ان يكون فى الجمع (היו)

(٣) وضع الناسخ دائرة فوق كل من الكلمتين(בזמן-במדברות) رغبة فى تصحيحهما مع انه استعان بالشطب للالغاء (124)

מהם ויתנודד ויפחד מהם ויחשב בלבו שמא הם מבקשים להרוג אותו או שמא הם חפצים לאכלו וגם יהיה שונא את בני האדם מפני שהוא חושב שכולם הם מחליפים על האמת ומורדים על הצדק בשביל שאינם עושים כמעשהו עד אשר תהיה שפיכות דמים מותרת לו ולא עוד אלא שחינוכו(126) יתהפכו וישתנו ויהיו כחינוכי החיות והבהמות ולא יהיה לו לא מדע ולא שכל ולא חכמה ויהיה דומה לבהמה וכן כת' בת עמי לאכזר כיענים במדבר וגו' ועוד אמ' בערץ נחלים לשכן חורי עפר וכפים בין שיחים ינהקו תחת חרול יסופחו. ולפיכך נקראו אלו האנשים מאבדי נפשותם אבל ראוי על האדם שינהג בעצמו כמנהג פרישות וחסידות בעולם הזה בקצת מעשיו בזמן שיושם לפניו מאכל אסור ובזמן שימצא ערוה אסורה ובזמן שימצא מעות ונכסים גזולים בעת ההיא צריך הוא להפריש עצמו מהם ויזיר את עצמו מהם למען שימצא שכר טוב בכל עמלו ככת' כי מה הוה לאדם בכל עמלו וגו' כי כל ימיו מכאובים וגו'.

الترجمة إلى العربية

تفسير المقالة العاشرة

وهي التي فسّر فيها الحكيم وشرح العمل الطيب الذي يتمسك به الإنسان وأي عمل لائق [يقوم] به في دنياه.

وقد استهل الحكيم فقال إن كثيرًا من الحكماء والمثقفين تناولوا هذا الأمر وناقشوا وبحثوا وتفحصوا ودققوا هذه الفكرة وأوصوا بهذا الرأى وأمعنوا النظر في هذا الشأن وتوصل قليل منهم إلى ماهية الحقيقة ووقفوا على سبيل الاستقامة ولب الصدق.

وبناء على ذلك أفسّر وأشرح في صدر هذه المقالة وأقول معلوم وواضح بحجج العقل والنظر وأدلة الحق أن الخالق تبارك اسمه واحد ليس له ثان كما أوضحت في المقالات الأخرى بحجج قوية وأدلة قاطعة.

وكما اتضح وتبين للعقل أنه تبارك اسمه واحد وليس له ثان واحد أحد واحد لا شريك له ومن المؤكد ليس به أشياء ملتصقة واحد فى الحقيقة ليس له شريك ثانى لهذا وجب أن يكون المخلوقون من أشياء كثيرة ومؤلفون من أجزاء أعظم.

بسبب أن مجيء المخلوقين وتكاثرهم (وتناسلهم) دليل على وحدة الخالق ويبرهنون أنه واحد في الحقيقة، أحد في الواقع كما فسّرت وشرحت في أمور أخرى تفسر فى المقالات الأخرى بأدلة مصقولة.

لذلك أفسر فى بداية هذه المقالة وأقول كل واحد من الأشياء وكل فرد من الآخرين المرئيين رغم أنه واحد في باب العدد لكنهم في حد ذاتهم أجزاء كثيرة الثنائية فيهم، ومن يراهم يجدهم واحدا في المظهر وحالما يفكر في شئونهم ويفحصهم (ويتأملهم) يعرف أنهم أجزاء كثيرة وأشطار متعددة وأشرح بعضا منها بضمنه وأقول: معروف أن كل الأشياء الموجودة والمواد الظاهرة (المرئية) والمواد المخلوقة وأن كل واحد منها جسم في حد ذاته فريد في مظهره وما أن يعتبره الإنسان ويتفحصه يجد في هذا الجسم الواحد أربعة أخلاط حرارة ورطوبة وبرودة ويبوسة وأن جسم الشجر على الرغم من أنه واحد فهو مركب من عدة أنواع من أغصان وسيقان وجذور وأوراق وثمار وفسائل وما شابه وهكذا جسد الإنسان على الرغم من أنه جسم واحد في حد ذاته فهو مؤلف من لحم وعظام وأوردة وشرايين وهلم جرا ولبن وشعر وعمود فقرى [ ] وأظافر وهذا الأمر واضح ومعروف وواضح للعيان مما لاشك فيه (بكل تأكيد) ولا يستطيع إنسان أن يكذب ويدحض وينكر حقيقة هذه المعرفة فليس فيها شك أو ريبة وعلى هذا البناء وبتلك البصمة (العلامة) وبهذا الربط خُلقت المخلوقات وأتقنت البرايا لأنه كما أن الخالق تبارك ذكره واحد أحد فإن أعماله كثيرة وعظيمة.

وهكذا مكتوب "ما أعظم أعمالك يا رب [كلها صنعت بحكمة ملآنة الأرض من غناك (مزامير ١٠٤/٢٤) .

وهكذا فإن جوهر السماء مصنوع ومتقن ومؤلف من أشياء كثيرة ومن أجزاء متعددة ومن مقادير كبيرة ومن أشكال متغايرة ومن حركات متغيرة وألوان ملونة بظلال دقيقة فى بروج وكواكب وقباب زرقاء (سماوات) كثيرة ومتعددة بلا كمية أو عدد وبجمعها وتجميعها سويا سميت بالسماء وهكذا مكتوب صانع النعش والجبار(٥) الخ [والثريا ومخادع الجنوب] (أيوب ٩/٩) مكتوب الصانع بناة نعش وفتيلة والثريا والخدور الجنوبية بما أني قد شرحت

(٥) والمقصود بالجبار هو كوكبة الجبار (أيوب ٩/٩).

(فسرت) هذا الأمر كما ينبغى أعود فأقول بما أن جسم الإنسان مؤلف (مركب) من عناصر كثيرة فهكذا في جسده (ألوان) حياة كثيرة متبادلة وفى هذه الأفكار، يحب أشياء كثيرة وفيها يكره أشياء كثيرة كما هو مكتوب 'أفكار كثيرة في قلب الإنسان' [لكن مشورة الرب هى تثبت] (أمثال ٢١/١٩).

وكما أن مواد الأشياء ليست مجسدة في طبيعة واحدة وسجية واحدة فهكذا جسم الشجر لا يقف ولا يثبت وليس نموها دائمًا لا فى جزء واحد ولا فى فرع واحد، وهكذا جسم (٦) الإنسان ليس حيا وليس ثابتًا لا بعظم واحد ولا بوتر واحد، وكذا السماء لا تضئ ولا تنوّر بكوكب واحد أو بجسم مضئ واحد، فهكذا الإنسان يستحيل أن يسلك في عالمه مسلكا واحدا أو أن يعوّد نفسه على رغبة واحدة كما يستحيل أن يسلك في أعماله فكرًا واحدا ويستحيل أن ينسق أعماله في نمط واحد، أو أن يسوّي طرائقه بطريقة واحدة، أو أن يدرب نفسه وجسده بأسلوب واحد كل أيام سنينه.

وكما يكون للمواد [الهلامية] وللأجسام وللأشياء زيادة بعض من الأخلاط (السجايا) ونقصان بعض منها، وبما أن بعضها ينقص وبعضها يزيد فإن الجسد يقوم (يتجسد) بسبب استحالة أن تكون سجايا المادة الهلامية وطبائعها كلها زائدة أو كلها ناقصة فهكذا ينبغي أن تكون في نقصان وزيادة باجتماع كل طبائع (أخلاق) الإنسان على قلتها وعلى كثرتها في حب شيء واحد وفي كره شيء واحد فيكون هذا الإنسان محباً لشئ أو كارها إياه مرة بصورة عامة ومرة بصورة خاصة مرة في نقصان ومرة في زيادة، وأيضا يعالج أي شبق وأية شهوة وأية رغبة يتوق إليها ويشتهيها بشرف وصدق وعندئذ (في هذا الوقت) يتم للإنسان صلاح أمره ويحسن ويفلح ويرضي طبعه ويصلح عقله وتجمل نفسه وينجح في أعماله ويطهر جسده ويكون شبيها بالإنسان الذي قدم طبائعه ورغباته إلى الحاكم، فحكم عليها كما ينبغي واعترف بصدق وعدالة الحكم عليه، ومكتوب "سعيد هو الرجل الذي يترأف ويُقرض الخ" [يدير أموره بالحق] (مزامير ١١٢: ٥).

وأيضا يكون شبيها بالرجل الذى وزن أفكاره بميزان ومهدها تمهيدًا وكما هو مكتوب 'مهد سبيل رجلك' [فتثبت كل طرقك] (أمثال ٤: ٢٦) وإذ يصنع الإنسان مع أفكاره هذا الصنيع ويتصرف مع شهواته ورغباته هذا التصرف ينجح في كل طرقه ويفلح في كل أعماله.

لسبب شئ واحد قدمت لهذه المقالة بهذا الباب وهو أني وجدت ورأيت قوما (أناسا) يحسبون ويقولون ينبغى أن يتدبر الإنسان بخلق واحد وأن يروّض (يعوّد) نفسه على شئ واحد وعليه أن يسلك مسلكا واحدا طول حياته فيحب دائما شيئا واحدا أكثر من جميع الأشياء ويشتهى طابعا أكثر من كل الطبائع وأيضا يكره شيئا أكثر من الأشياء الأخرى ويمقت شيئا أكثر من الأشياء الأخرى.

وما أن فحصت أقوالهم ودققتها وجدتها فى غاية الخطأ ومنتهى البطلان بسبب أمور كثيرة أحدها، إن كانت محبة شيء واحد وإيثاره جميل للإنسان ومناسب لعقله لما خلق الخالق تبارك ذكره في طبائع الإنسان حب كل شئ وإيثار كل شيء ولو كان هذا الأمر مناسبا وصالحا لأمكن أن يكون الإنسان مخلوقا من عنصر واحد وقطعة واحدة ولطبع على طبع واحد وسجية واحدة. علاوة على ذلك فلو أنه من الصالح أن يخلق الإنسان من شيء واحد وجوهر واحد لأمكن أن تُخلق السماء والأرض من طبيعة واحدة وشيء واحد. وإذا كان الأمر كذلك لفني أبناء آدم والمخلوقات وكما أن الإنسان لا يُجسد بنوع واحد كذلك يستحيل أن يوجد في قطع واحد. وكذا كل الحرف وكل الصنعات الدقيقة والضخمة لا تنجز ولا ترسخ ولا تصلح جزءًا واحدا أو عملاً واحدا ولا فكرًا واحدًا بل تحتاج إلى

---

(٦) المقصود גולם: المادة الهلامية لجسم الإنسان.

أفكار خامة، وأفكار كثيرة كمثل البنيان الذي لا يُقام أو يرمم (يصلح) من حجر فقط أو من كلس فقط أو من طين فقط أو من ماء فقط بل بجمعها سويا يبارك كل الأطعمة والمأكولات والمشروبات والملبوسات وسائر المطالب والحاجيات لا تعمل ولا تنجز ولا تحسن إلا بجمع تفاصيلها مع عمومها سويا لذلك (بناء عليه) وجب على الإنسان أن يفتح عينيه ويمعن النظر في هذه الجزئيات، التى تنجز ولا تتقن كلية وليس بجزء واحد ورغم أنها مطلوبة ومعدة لحوائج الإنسان ورغبات نفسه مرات عديدة أنه من المستحيل أن تقوم وتنجح وتتزين بطبيعة واحدة أو مرام واحد.

وينبغي أن أبين بعضا من هذه الرغبات والطبائع وأقول معروف لدى العقلاء وذوي الحكمة أن في هذه الطبائع حزنا قويا وأسى شديدا وأن ألمهم قوي وشديد كما أبين هناك أناس ألزموا أنفسهم بأن يتجولوا دائما في الجبال ويسيرون في الصحراوات وبسبب هذا الأمر أصيبوا بالخبل وجنوا [واختار، فضل] بعض الناس الأكل والشرب وأحبوهما أكثر مما ينبغي وبسبب هذا الأمر أصيبوا بمرض الأمعاء الدقيقة وأصيبوا بمرض بطنهم وتوعك جوفهم البطنى (كرشهم) ومنهم من حث نفسه على جمع الفضة والذهب حتى وصل إلى العوز من جراء أنهم أكثروا من نهب [أموال] اليتامى والأرامل فصاروا فقراء ومعدمين ومنهم من انهمك في الشجار والخلاف والصراع وفضلوه عن غيره وبسبب ذلك ابتلوا في أنفسهم وضيعوا أنفسهم وثروتهم وما أشبه ذلك الأمر ما سأبينه فى وسط هذه المقالة.

وبعد فإنى أقدم تفسير أمر واحد وأقول : معروف وواضح أن الإنسان يحتاج في كل أعماله وصنائعه ونياته إلى العقل والبينة والفهم فهو دائما يتشاور ويتحير ويقدر وفي كل أعماله وبالعقل يُفسر فيقوّم كل أفكاره وبها يسوّي طرقه فيتخير أفكاره (رغباته) ويحسن أعماله وكذا مكتوب "إذا ذهبت تهديك [إذا نمت تحرسك وإذا استيقظت فهي تحدثك] (أمثال ٢٢/٦).

وبدء هذا الأمر وبدايته أنه وجب على الإنسان أن يكون مالكا كل أخلاقه متحكمًا فى كل رغباته مسيطرا على كل شهواته لأن لأي حب وكره يحبه الإنسان ويكرهه أوقاتا يمكنه فعلها وأوقاتا يستحيل فعلها لأن لكل أمر مكانا وزمانا فالإنسان مجبر أن يفعل كل واحد في مكانه وأن يفعله في زمانه (وقته) ومن ثم ينبغى على الإنسان حين يعرف أن هناك وجوها لعمل مبتغى أخلاقه ورغبة شهوته ويكون وقت عمله مناسبا ويكون مكانه متيسرا ويكون عمله طيبا فخير له أن يمنح نفسه حرية العمل وفقا لقدر كفايته ومقدار حاجته ووفقا لقدر وفائه بالحق وبالقسط وبالميزان حتى يُستوفى غرضه ويكتمل نجاحه ويَنال مبتغاه.

وبعد ذلك يحبسه ويخضعه وطالما أنه يعرف أنه لا سبيل لعمل هذا الصنيع وأيضا يستحيل أن ينزعه من قلبه ولا ينبغي أن يسلط خلقه لعمل صنيعه فإنه ملزم أن يتركه ويحبسه ويخضعه حتى ينقشع عنه هذا الخوف ويزول ذلك العائق من أمامه ويكف عنه ذلك الفكر السيء حتى تهدأ شهوته وتهدأ سجيته لذلك ينبغي على الإنسان أن يكون متحكما في طبائعه (أخلاقه) وشهوة نفسه حتى يستطيع أن يخفي واحدة ويطلق واحدة وكما قال الكتاب " البطيء الغضب خير من الجبار [ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة] (أمثال ٣٢/١٦).

بعد هذه الأمور أبين فأقول إن لكل نفس ثلاث قوى وهي الشهوة والتمييز والغضب وهذا نهجها: قوة الشهوة تعطي الإنسان شهوة الأكل والشراب والتلاقي. وقوة الغضب هي التي تحفز الإنسان على أن يشن الحرب وأن يضرم [نار] الشجار والنزاع وتطوقه عن عمل السيطرة والتمجيد وتحفزه على إيقاع الخصام والخلاف والانتقام انتقاما والحقد حقدا وأن يمشى بتفاخر وعجرفة وتكبر وما نحا نحو ذلك تلك قوة الغضب أما قوة التمييز فهي التي تختبر كل الأشياء وتحكم على القوتين الأخرتين وهى التي تحكمها.

وبناء على ذلك حين تضطرب قوة واحدة وترتبك ويزيد أي عمل غير لائق حاجة أعمالها وأخلاقها أو يظهر منها أي ارتباك وعناء تأتي قوة التمييز فورا فتفحص ذلك العمل المعمول وتختبر ذلك المرام وتدقق تلك الشهوة فإن تبين لها أن عاقبة هذا العمل سليمة وتدرك أن خاتمة هذه الشهوة خير وبركة وسرور وفائدة عندئذ لها صلاحية أن تفعل كمبتغاها وتؤكد أعمالها وتقوى أفعالها وتشحذها لإنجاز رغبتها وتحذرها لإتمام أعمالها إن تبين لها أن في هذا الصنيع ضررا وآفة أو في نهاية ذلك العمل أو فى ختام تلك الشهوة أو في غاية هذا المرام فورا تمنعها من عمل هذا العمل نفسه وتحظرها شكيمة السمو فتجذبها شكيمة العقل وتكبحها في ثنايا العقل (الحكمة) وتغرسها [في الذهن] لعمل عمل واحد وتشجعها وتثبتها حتى ترجع عن حب هذه الشهوة وتأمرها للشغف بعمل ذلك العمل السليم ومن ثم تبين لنا أن أي إنسان يعرف نهج هذه الأخلاق ويدرك أيضا هذه القدرة ورغم ذلك فهو يبذل جهده ويجمع قواه لكي يجعل قدرته على التمييز مسيطرة على شهوته وغضبه (يحكم تمييزه)، ويسمح لعقله أن يسيطر على غضبه وفرحه ويحكم إرادته وغضبه (مجازا) ويسيطر على فرحه وغضبه ويساعده لكى يسيطر عليها فهو حكيم، راجح العقل وبصير ومتمسك بالفضيلة وبأدب الحكماء وبشأنه قيل "مخافة الرب أدب حكمة وقبل الكرامة التواضع" (أمثال ١٥: ٣٣).

وعلى الإنسان الذى يجعل غضبه وحنقه وحبه وشهوته تسمح له بالسيطرة على عقله وتمييزه فهو أحمق وبليد ساذج وآثم لأنه يمقت الحكمة ويحتقر الأدب وهكذا قال الحكيم حكمة [الفطنة ينبوع حياة لصاحبها] وتأديب الحمقي حماقة (أمثال ٢٢/١٦) وقال وكأحمق إلى تأديب أحمق. وبدون شك يحتاج بنو آدم جميعهم في كل وقت وكل زمن إلى إنسان حكيم بصير لكى يعلمهم أى طريق قويم يتشبثون به وأيضا أى طريق معوج يبغضونه ويعرفهم أى شئ يكرهونه وأى شئ يحبونه حتى تطيب قلوبهم وتسعد نفسهم ويهدأ عقلهم.

وهكذا فعل سليمان الحكيم عليه السلام في سفر "جامعة" حين طالب بتعلم أي عمل طيب وعمل كل الأعمال التي صنعت تحت الشمس وفسر كل عمل وتفسير قواعد الأعمال كيف يكون ختامها وغاية فنائها ومع ذلك لم يرد الحكيم أن يقول إن كل الأعمال هباء وقبض الريح لأنه يستحيل أن يقول على حسن ما قوّم الله وعلى طيب أعماله وعلى حسن نهج أخلاق مخلوقاته واعتدال الأمل والرجاء بأن مخلوقاته التي خلقها الله كلها باطل (هباء) وقبض الريح لكنه أراد أن يقول إن كل عمل ومرام وشهوة وطبع يعمله الإنسان وحده منفردا دون مشاركة الطبائع الأخرى يكون ذلك العمل نفسه باطلا وقبض الريح وهكذا قال على فصل عمل واحد من سائر الأعمال وعلى المواظبة على عمل منفردا وترك الأعمال الأخرى معوج لا يمكن تقويمه لأن كل عمل يُعمل منفردا ومختارا دون مشاركة غيره فهو أعوج غير كفء من طريق القدرة وغير كاف من طريق التمام، وبجمع شريكه معا (باجتماعها معا) لا يكون ناقصا ولا يكون أعوجا بل يكون كاملا تاما مستقيما وحجة هذا التفسير أن الحكيم عليه السلام حين أراد أن يفسر رغبات العالم وجميع شهوات الإنسان ذكر من بينها ثلاثة أنماط (ثلاثة أبواب) وأسمى كل واحد منها بأنه باطل وتفسيره غرور مثل قوله فإنهم يجعلونكم باطلا يغرونكم وأيضا مثل قوله "لا تتكلوا على الظلم ولا تصيروا باطلا في الخطف" (مزامير ٦٢: ١١).

وأولى الثلاثة الانفراد بالحكمة والتمييز وحبهما وبغض و (ترك) سائر المرام (المحاب) قال فى ذلك "ووجهت قلبي لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل فعرفت أن هذا أيضا قبض الريح" (سفر جامعة ١: ١٧).

وعلمنا علة ما سمى بحب "قبض الريح" بأنه كلما زاد (كثر) علم الإنسان زاد ألمه فطالما أنه يفحص ويدقق أعمال كل شئ فسوف يظهر له عيب كل شئ وافتراء (قذف) كل شئ وشائبة كل شئ.

وأغلب رجحان حكمته في هذا الفخ وكان قبل ذلك هادئا وساكنا ومرتاحا من ألم هذا التفكير وهكذا قال فى نهاية الأمر "لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم والذى يزيد علما يزيد حزنا" (سفر جامعة ١: ١٨)

والنمط الثانى (والباب الثانى) بَيَّنَ فقال كلما انشغل بكل ما لديه من قوة وبقدر استطاعته، دائما ببهجة وفرح فقط فهذا غير طيب (له) وغير جميل وهو باطل وقبض الريح كما قلت فى نفسى (قلبى) هل أمتحنك بالفرح (فترى خيرا وإذا هو أيضا باطل) (جامعة ٢: ١) وبين ماهية هذا الأمر ولماذا سمى باطلا فقال بسبب أنه في الوقت الذى يضحك فيه الإنسان ويبتهج يشعر فى داخله أنه عمل قبيح ومستنكر بسبب أنه يرى نفسه أنه يكتسب خلق البهائم وهكذا قال" للضحك قلت مجنون (وللفرح ماذا يفعل) (جامعة ٢: ٢)

والنمط الثالث (والباب الثالث) عمارة الدنيا فعرّفنا أنه كلما اشتغل الإنسان بعمارة الدنيا وحدها فإن هذا غير طيب (له) وعبث هو وهكذا قال" بنيت لى بيوتا غرست لنفسي كروما عملت لنفسى خبات وفراديس (جامعة ٢: ٤، ٥)

وسائر القصة (وكل شئ) وبَيَّنَ ماهية هذا الأمر فقال بسبب أن الإنسان يكد فيه ويكدح فيه جدا وفي نهاية الأمر هو يتركه لمن يخلفه فيذهب كده وكدحه باطلا وعبثا وهباء وهكذا قال " فكرهت كل تعبى الذى تعبت فيه تحت الشمس (حيث أتركه للإنسان الذي يكون بعدى) (جامعة ٢: ١٨) وسماه عبثا.

فلما أشار إلى هذه الأبواب الثلاثة وأتم [هو] تفسيرها ترك ذكر رغبات الإنسان وبهجة الدنيا لكى لا يتعنت فى تفسيرها ويترك ما وجب عليه تفسيره وما يرغب في أن [ ] وأن يحذر لكن في هذه الأبواب الثلاثة [ ] الإنسان لكي يسلك في كل طرقه وفى كل أعماله بكل صدق وإخلاص وحق ويتعلم بعضا من الحكمة، ويحفظ شيئا من الحلاوة والزينة ولا يهجر (ينبذ) نيل الحكمة (التثقف) والإدراك في كل نجاحاته لكي يكتمل نجاحه ويفلح عمله وهكذا قال افتكرت فى قلبى أن أعلل جسدى [بالخمر وقلبى يلهج بالحكمة وأن آخذ بالحماقة حتى أرى ما هو الخير لبنى البشر] (جامعة ٢: ٣).

وبعد هذه الأقوال أود أن أجمع من كل أبواب المرام والرغبة والأخلاق ثلاثة عشر بابا وأبين في البداية الأشياء التي تلزم بنى الإنسان أن يعملوا كل أيام حياتهم طبيعة واحدة ومرام واحد وبعد ذلك أشرح الأمور التي خفيت عليهم والتي أهملوها. وأبيّن في آخر كل باب أية صورة وجب على الإنسان أن يحقق الرغبة نفسها وأية صورة خير له لكي يسلك الخلق نفسه وفى أى وقت يمكن للإنسان أن يفعله وحيث إني أعتقد أنه إذا جمع الإنسان عام ما ذكرته في آخر كل باب الإنجاب والعمران والحياة والثراء والسيطرة والانتقام مما أهملها أصحاب ذلك المعتقد أُنجز كتاب كامل ومقالة تامة مفعمة بالزهد والتقوى وفى البداية أبين أسماء هذه الأبواب، وهذه أسماؤها الزهد والأكل والغشيان والعشق والعبادة والحكمة والراحة هذه محاب العالم كذلك أريد أن أفسّر فى كل باب الصعوبات التى تلزم [ ] من العقل وأشرح أن الحجج التى تشجبه هى التى يزينها توقير الحكمة (أى التى تتسم بالحكمة) والباب الأول باب الزهد.

قال بعض الناس إنه يجب على الإنسان الذي يمقت هذه الدنيا طوال حياته أن يعتزل (أن ينأى بنفسه) عن سائر نجاحاته وقد وجب عليه أن يسيح فى الجبال والصحارى يبكى وينوح وينتحب ويكفر ويندب هذه الدنيا لأن

هذه الدنيا تتقلب دائما على المخلوقات وتتغير على بنى آدم وتتبدل عليهم من ورطة إلى ورطة وتقلبهم من فوضى إلى فوضى وتجر عليهم المحن (تثيرها) وتنقلهم من بلية إلى بلية ومن ضائقة إلى ضائقة وفى الوقت الذى يبتهج فيه الإنسان ويفرح يرتاح (يسكن) ويأمن يتأمل في الخيرات ويرفل فى النعيم (المتعة) وقلبه ساكن (مرتاح) من وفرة البهجة والسرور في هذا الوقت وفي تلك اللحظة تنقلب عليه هذه الدنيا على حين غرة فتقلب فرحه إلى حزن وتجعل فرحته نواحاً وتحيل بهجته إلى قلق (فزع) وتغير فلاحه (نجاحه) إلى أسى وتجعل رغبته كداً وتجعل راحته كرباً.

وتجعل ثراءه فقراً وعظمته خنوعاً وملكه هباءً وتفاخره حيرةً ونوره ظلاماً وهدوءه خصاماً وجلاله سواداً ومجده ظلاماً وجماله قبحاً وعقله غباوةً وثراءه عوزاً وأمله يأساً وحكمته حماقةً وثروته فقراً وسروره [ ].

وكما هو مكتوب قائلا: "يضطجع غنيا ولكنه لا يضم يفتح عينيه ولا يكون. الأهوال تدركه كالمياه ليلا تختطفه الزوبعة تحمله الشرقية فيذهب وتجرفه من مكانه" (أيوب ٢٧/ ١٩: ٢١)

ليس هذا وحسب بل ولو أجهد الإنسان جهده طوال حياته لكي يصير حكيما ضليعا في الحكمة لأربكت حماقته نفسه وأربكه فكره وبلبلته خاطرته ودمرت حكمته نفسه. وإذا أراد أن يكون جسده طاهرا، ويكون بدنه نقيا ويكون جوهره نظيفا وتكون نفسه زكية وقلبه شفافا لكانت قذارته تلوثه ودناسته تدنس جسده ونجاسته تقذر جوهره ورائحته الكريهة تلوث جسمه وعلته تقبح بدنه.

وأيضا إن أراد أن يكون معافيا صارت العلل والأمراض تسخر منه وتسخر من جسده وتسبب له آلاما جسمانية وروحية وتؤلم بدنه وتفسد جسده وتدك عظامه فإن أراد أن يكون لبيبا ارتبك وإن رغب في أن يكون فصيحا بصيرا صار متمرغا فى الإهانة (مرتبكا في الخجل). وإذا أراد أن يتصرف بحكمة (أن يحصف) جعله الغباء (جاهلاً) غلبه جهله، وإذا أراد أن يكون ماهرا وخبيرا جعلته الحماقة أحمقا وإذا بذل قصارى جهده لكى يكون حاذقا في اللغة ومناظرا أوقعته لغته فى ضلالات وظنون، وإن أراد أن يكون عالما قهرته بلادته وإذا أراد أن يوصى بالاستقامة أوقعه فمه (لسانه) في محن خطيرة وضائقات عسيرة. وكما قال: إن تبررت يحكُم عليّ فمي [وإن كنت كاملا يستذنبنى] (أيوب ٩: ٢٠).

ليس هذا وحسب بل إنه لا أحد في الكون (العالم) يعلم إن كان سوف يسعد في المستقبل ولا يعرف أيضا ماذا يُخلق (يطرأ) فى أيامه ولا يدرك أيضا ما سيحدث عليه في هذه الدنيا من فتن ومحن وبلايا ومتاهات وأمراض وفقر وعوز وقلق وحزن وأسى وثكل ورعب ورجفة ونقائص وانحرافات وفاجعات وسائر الأضرار (المآسى) وهكذا قال الحكيم" لا تتفاخروا بالغد لأنك لا تعلم ما يلده يوم" (أمثال ٢٧: ١).

ليس هذا وحسب بل كلما أحب الإنسان هذه الدنيا فإن الدنيا تكرهه تمقته وتحزنه وتوجعه (وتؤلمه) وتكثر كدره وتضاعف توتره وتزيد كده وتواصل كربه وكلما تمسك بها فهي تحمل الحقد تجاهه وتوهنه وتدمر قواه وكلما شغف بها فهي تسبب له الفشل والإخفاق وتنبذه وتقلب [حاله] وتربكه وتضله (تدله إلى طريق الضلال) وتشوّشه وتذله وترجفه (وتهزه) وترعده وتحطّمه.

وكلما بذل فيها جهدا فإذا كان شبعانا (راضيا) جوّعته وإذا ارتوى عطشته (ظمأته) وإذا كان سمينا زادته (ضورته) جوعا وإذا كان بدينا أنحلته (نحفته) وإذا كان صلب العود أوهنته وإذا كان قويا أضعفته وأوهنته وإذا كان مصحا أمرضته وإذا كان ثريا أفقرته وإذا كان مسبّحا (ممجدا) ومبتهجا أقلقته (أفزعته) وجعلت رجاءه خيبة أمل

وأمله [ ]. وهكذا مكتوب" فينقطع اعتماده ومتكله بيت العنكبوت يستند إلى بيته فلا يثبت يتمسك به فلا يقوم (أيوب ٨: ١٤، ١٥).

وما زال الإنسان فى هذه 'الدوارة' ما عاش كل أيام حياته يتكلم إفكًا ويتفوه كذبا ويكثر البلية والتعب ويضاعف الخداع والبهتان ويزيد المخاتلة والخطيئة ويمعن فى النهب والسرقة ويعمل الخطيئة والإثم كل أيام حياته وكما هو مكتوب [وإن كانت مع القوة فثمانون سنة] وأفخرها تعب وبلية (مزامير ٩٠: ١٠).

وكم من جبابرة أضعفت وكم من أقوياء أوهنت وكم من كرماء قهرت وكم من أثرياء أذلت وكم من أشداء سلبت (نهبت) كما هو مكتوب" سُلب أشداء القلب (ناموا سنتهم) (مزامير ٧٦: ٦).

وكم من رؤساء أخضعت وكم من نواب أخنعت وكم من عظماء قهرت وكم من ملوك حطمت وكم من موقرين أذلت وكم من أجلاء أضعفت وكم من لطفاء أمسكت وكم من قادة أمسكت.

كما هو مكتوب "ليدنس كبرياء كل مجد" [ويهين كل موقرى الأرض] (إشعيا ٢٣: ٩) وكم من أناس ابتغوا فرحتها [فرحة الدنيا] فصيّرتها مراً وكم من أناس رجوا منها سروراً فصبت لهم سخرية وكم من أناس رغبوا كمال بهجتها فصارت خيبة أمل لهم وكم من رفقاء (أصدقاء) ابتغوا استمرارية حبهم فصار على نقيض أملهم (توقعهم) وكم من أناس تمنوا طول العمر فتوفوا (فقُصّت أيام حياتهم).

وكم من أناس تمنوا رؤية نور دنياهم فخبا في وجوههم أثناء النهار وكم من أناس فتحوا أعينهم لنور الأضواء فصار النور عتمة عليهم وأصبح ظلاما وكم من أناس اعتمدوا على قوتهم فندموا مرتين وكم من أناس أملوا في النور (فمشوا) فمضوا في الظلام الدامس الحالك. كما هو مكتوب: "حينما ترجيت الخير جاء الشر [وانتظرت النور فجاء الدجى] (أيوب ٣٠: ٢٦) .

وكم من أناس سحقتهم الفتن وحطمتهم البلايا وأفنت المحن قواهم وسحقت الضائقات قدرتهم وسودت الكروب وجوههم وقبحت الحسرات جمالهم وأذلتهم الفاقات وأفنت المتاهات وقارهم (مجدهم) ومرّرت المآزق حياتهم [صيرتها مرّة] وضيعتهم الفواجع حتى غاصوا في أعماق الضغط [العصبي] وغطسوا فى لجج المتاهات وهبطوا إلى قاع الفتن وارتجوا فى أمواج الآلام وذلوا (انخفضوا) تحت أمواج الكروب وغمرتهم أنهار الحسرات (التنهدات) وهكذا قال النبي (عليّ استقر غضبك [وبكل تياراتك ذلّلتنى] (مزامير ٨٨: ٨).

ليس هذا وحسب بل إن كثرة المعاناة وعموم الخطايا والذنوب في هذه الدنيا صُنعت وصارت وعند ترك هذه الدنيا يكون الجزاء والبهجة، وبسبب العمل الطيب في هذه الدنيا خُلق يوم الدين ويوم الحساب وجزاء اليوم الآخر وأثناء (وفى غضون) هذه الدنيا يمكن أن يقع بين الإنسان وربه خصام وخلاف ونزاع، حتى يصبح خالقه من كثرة (من فرط) غضبه عليه كارها له ومبغضا إياه ويصير ربه مفترسا له ومهلكه ومختطفا إياه وجامعه كالأسد المفترس الذي يخنقه دون غضب ورحمة (وشفقه) كما هو مكتوب "وإن ارتفع تصطادني كأسد [ثم تعود فتتجبر علىّ] (أيوب ١٠: ١٦). وأيضاً قال:"هو ذا يوم الرب قادم قاسياً بسخط [وحمو غضب الرب] (اشعيا ١٣: ٩) وفى هذا قال هؤلاء الناس يجب على المرء بما أنه يرى هذه الاضطرابات تعصف (تهيج، تصطخب) فى هذه الدنيا لكى يسأم (يمقت) هذه الدنيا ولا يبنى فيها بيتا ولا يغرس فيها شجرة ولا يبذر بذرة ولا يتزوج ولا ينجب بنيناً وبناتاً وأيضاً لا

يسكن بين الذين اختاروا هذه الأفعال أيضا لا يقطن بين محبيهم وأيضا لا يسكن بين الراغبين فى البناء والإنجاب حتى لا يتعلم أساليبهم ولا يعمل كأعمالهم ولا يكتسب طبائعهم.

ويجب عليه أن يبتعد عنهم ويخرج من بيوتهم ويكون هائما (متجولا) فى الجبال وفي الصحارى يبكى وينوح ويصير يأكل من عشب الجبال ومن كلأ الصحارى ويظل يندب وينتحب حتى يوم وفاته حتى يموت من فرط نواحه على هذه الحياة الدنيا فكرت مليا فى أقوال هؤلاء الناس فتبين لي كل ما قالوا فيما يتعلق بأحزان هذه الحياة الدنيا وحسراتها وفتنها ونكباتها دون حق لكنهم ضلوا (أخطأوا) فيما قالوا حيث يستحيل البناء والغرس لأن الإنسان يحتاج إلى مأوى من [ ] وإلى ملاذ من الحر ومن البرد، ويحتاج الإنسان إلى مأكولات وأطعمة لذيذة، وهكذا إن لم يبن ملجأ (سترا) ولا يكون له ملاذ وحين لا يغرس لن يجد طعاما وحين لا يتزوج ولا ينجب سوف يبطل العالم ويكف وينقطع النسل وتفسد المخلوقات.

ولو كانت هذه الأعمال ملزمة (واجبة) وجديرة (ومستحقة) بحكم العقل وفعلها كل بني الإنسان لما بقى في الدنيا فرد ولما بقى كائن على قيد الحياة، ولكانت الحكمة قد توقفت وكفت وتبدل الفهم وانقشعت التقاليد وغاب الإدراك وبطل يوم الحساب وفنيت السماء والأرض ليس هذا فحسب بل لو جاز للإنسان أن يكون بلا بيت وبلا مأوى عاش دائما فى خطر وفى حزن خائفا من الحيوانات المفترسة فزعا من الثعابين والأفاعى وأيضا تعرض للخطر وتألم من الحر ومن البرد وسائر الاضطرابات ويتغير جسده ومادته (الهلامية) وينقلب إلى ثلج وصقيع وسراب حتى يصير (يصبح) مجنونا ومهووسا نظرا لأن الأطعمة الطيبة واللذيذة ضاعت منه وفقدت منه المشروبات الروحية والمياه الباردة وبغياب الأطعمة والمأكولات اللذيذة عنه يفسد دمه (وهيجان السوداء) ويبس عظمه وتمتزج طبائعه ويمرض جسده وتكتئب مادته (الهلامية).

وفى ذلك الوقت يحتاج إلى دواء وعقار وعلاج حتى يشفى بالأدوية أهل القرى وبالعقار أهل المدن فيمكن أن يشفى ويمكن ألا يشفى وليس هذا فحسب بل حين ينفصل (يبتعد) المرء عن سائر بنى آدم ويسكن فى الجبال ويقطن الصحارى فى ذلك الوقت يكون شبيها بالوحوش وبالحمر الوحشية المقيمة في الصحارى وفى ذات الوقت يصبح الإنسان حين يرى بصيصا منهم يتفجع ويخاف منهم ويفكر فى نفسه أنهم ربما يريدون قتله أو ربما يرغبون في أكله فيكره المرء الناس لأنه يعتبرهم جميعاً يبدلون الحقيقة ويثورون على الصدق لأنهم لا يفعلون كمثله فيستحل إراقة الدماء وليس هذا فحسب بل تتغير طبائعه وتتبدل فتصبح كطبائع الحيوانات والبهائم فلا تصير له أية معرفة أو عقل أو إدراك فيكون شبيها بالبهيمة وهكذا قال "ابنة شعبى تصبح وحشية كمثل النعام فى الصحراء (ايخا ٤: ٣).

وأيضا قال "للسكن فى جَرُف الأودية في كهوف الأرض وفي الصخور وبين الشجيرات ينهقون وتحت النباتات الشائكة يجمعون (أيوب ٣٠: ٦، ٧) لذلك دعى هؤلاء الرجال مضيعين (أنفسهم)، بل وجب على الإنسان أن يسلك (ينتهج) أسلوب ونمط الزهد والتقوى فى هذه الدنيا فى بعض أفعاله حين يوضع أمامه طعام محرم وحين يلقى غشيانًا محرما وحين يجد أموالا وثروات منهوبة.

فى ذلك الوقت وجب عليه أن يعزل نفسه عنهم ويبعد نفسه عنهم حتى يجد (يبلغ) أجرا طيبا فى كل عمله كما هو مكتوب" لأنه ماذا للإنسان من كل تعبه [ومن اجتهاد قلبه الذى تعب فيه تحت الشمس] (جامعة ٢: ٢٢).

دراسة أسلوبية لغوية

يتسم نص المخطوط العبري المطول بسمات أسلوبية وخصائص لغوية مميزة:

أولا: أسلوب التوسيع والتمديد

يعرض المخطوط الفكرة نفسها بواسطة التوسيع والتمديد، وقد جاء ذلك بطريقين:

(١) الإسهاب والإطناب: توسيع وتمديد طول العبارة بعرض الفكرة نفسها بإسهاب وإطناب مما يزيدها وضوحا (للنماذج انظر النص المحقق).

(٢) الحشو: تكرار فكرة بذاتها بمفردات عديدة تتحلى بالمعنى نفسه فلا يزيد التكرار المعنى وضوحا (للنماذج انظر النص المحقق).

ثانيا: الاستعانة بأساليب بلاغية

(١) اكتساب صورة شعرية بواسطة التوازى والسجع.

(أ) التوازى: يسرى بين الجمل تجاوب من حيث المعنى فتسير جملتان (أو أكثر) فى خطين متوازيين وتعبران عن الفكرة نفسها بكلمات مترادفة (للنماذج انظر النص المحقق).

(ب) السجع

كمثل סברון (الأمل والرجاء)، דברון (غير وارد في المعاجم)

דלות، שפלות، רשות (الفقر)

פריישות،חסידות (تقوى)

(١) التعبير بأسلوب الكناية

كمثل ודאי (كناية عن الله الذي لا شك فى وجوده)

צור (كناية عن الله كمدافع ومدعم)

קונה (كناية عن الله كخالق)

(٢) الاستعانة بتعبيرات المجاز والاستعارة

מצורות (مفردهامצור) يعني مجازا محنة، ضائقة(وجاءت مرادفة للكلمة מצוקה)

- פרומביא (في المخطوط، بينما ترد فى المعاجم بالنهاية الهاء)

(פרומביה) تعنى "شكيمة" فيكون المعنى مجازا" شكيمة العقل"

- חדרי הדעת مجازا فى المخطوط ثنايا العقل والحكمة.

ثالثا: التأثر بأسلوب الكتابة والتأليف باللغة العربية والذي كان سائدا في العصر الوسيط.

(١) التقديم والتأخير

- בעבור דבר אחד הקדמתי זה הענין זאת המגלה. بسبب شئ واحد قدمت لهذه المقالة بهذا الباب.
- שחרו פניהם היגונות (تقديم المفعول على الفاعل بمعنى سودت الكروب وجوههم)
- כלו את כבודם המבוכות (تقديم المفعول على الفاعل بمعنى أفنت المتاهات وقارهم)

- המרירו חייהם הבהלות (تقديم المفعول على الفاعل بمعنى مررت المآزق حياتهم)

(١) استخدام الفعل في المفرد الغائب مع فاعل فى الجمع יתרפא אנשי המשובות

(٢) الاستعانة بكلمات عربية مع نقلها برموز صوتية وحروف عبرية:

אלתריא الثريا– אלכדור אלגנוביה الخدور الجنوبية קדם قدَّم גרור غرور גרונכם يغرونكم מדינה مدينة זהד زهد (جاء هذا المصطلح كتفسير سابق للمصطلح פריישות الذى يقابل "الزهد").

وتتأتى هذه السمات الأسلوبية بالوسائل الآتية:

(١) الترادف

(أ) ترادف الكلمات(أسماء وأفعال وصفات).

חזק،גבור (قوى، صلب العود) מחליש، מכשיל،מתשיש (أضعف، أوهن) ספק،דמאי (شك ،ريبة وكلاهما في عبرية عصر المشنا). רב،עצום (كثير)מאיר،מנהיר (أضاء)כוכב، מאור (كوكب، جسم مضئ) בחן، צרף (فحص، دقق). מלאכה،אומנות (عمل، صنعة) – מטעמים،מאכלות (الطعام، المأكل)–רש،אביון (فقير، بائس) – דר،שכן،ישב (سكن، أقام) פראים،ערודים (حمار وحشي) – בקש،חפץ (أراد) צדק،אמת،ישר (صدق،إخلاص) שלם،תמים (كامل) – ראש،תחלה (البدء، البداية) – מצה،מריבה (شجار، نزاع) – יודע،מכיר،מבין (عرف، فطن ،أدرك) – יגיע،עמל (الحزن، الكدر) – בחן،בדק،צרף (فحص، اختبر) – קצת، אחרית، פאה (نهاية، غاية) – שכל،דעת (وأيضا مدع) (العقل) – שכל، תבונה (العقل، التمييز) وأيضا – שכל،בינה (إدراك) – אסר،מנע (حظر، منع) – שנאה،איבה (البغض، الكره) – שולט،מושל،רודה (حكم، ساد، سيطر) – דשן،שמן (سمين) – לבדו،לחודו (وحده) – מלא،שלם (التام، الكامل)– שלו،שאנן،נוח (هادئا، ساكنا) – שמחה،ששון (الفرح، السرور) – יגע،עמל (كَدَّ، عمل) – יגיע،עמל (الكد، الكدح) – בוכה، מתאנה، מקונן، נוהה،מילל (بكى ، ناح، ندب) – התהפך، התחלף، השתנה (تغير، تبدل، تقلب (وكلها ينتمي إلى عبرية عصر المشنا) – צרה،מצוקה،תלאה (محنة ، بلية، ضائقة، كرب) – עליז،גילה (البهجة، السرور) – רשות،דלות، עניות (الفقر) – קדרות، חשכות،שחרות (ظلام) – נקי، בר،זך (طاهر ، نقى) – תך،מרמה (خداع، بهتان) – פשע، רשע (الاثم،الخطيئة) – גבור، אמיץ،אביר(جبار، قوى) – שמחה،חדוה (بهجة، سرور) – תולדות،זרע (نسل) – תקוה، תוחלת(أمل) – חיל،כוח (قوة) – מהומה،בהלה(فوضى) – טבע،צלל (غاص،غطس) – עצבון، יגון (حزن، أسى) – אשמות،חטאות (خطايا) – קטטה،מריבה (خصام، نزاع) – שכן،דר،גר (سكن، قطن) – בריה، באי העולם (تعبير إضافي وكلاهما ينتمي إلى عبرية عصر المشنا بمعنى مخلوق، إنسان) – נכרת، נשחת (اجتث، جدع) – נשאר، נותר (بقي) – רפואות، תרופות، סמים (عقار، دواء).

(ب) ترادف عبارات: وتشكل الأمثلة السابقة الذكرأمثلة لترادف العبارات حيث تتركب العبارة من فعلين مترادفين واسمين مترادفين كمثل: תרגע תאותו، ישקוט פתוכו (هدوء السجية) מדבר שקר، ממלל כזב (يتكلم إفكا، يتفوه كذبا)

(٢) تكرار كلمات تحمل نفس المعنى (لا تعد ترادفا لانتمائها إلى عصور لغوية عبرية مختلفة)

מספר،מנין،סך (فى عبرية عصر المشنا): عدد

שקר،כחש (فى عبرية العهد القديم)،כפר(فى عبرية عصر المشنا): أنكر، كذب.

ריב، מחלוקת، מלחמה (فقط في معناها في عبرية عصر المشنا): الشجار، الخصام.

צרך،חפץ،צריכה (في عبرية عصر المشنا): حاجية

בטן،כרס (فى عبرية عصر المشنا): بطن، جوف.

מדה،קצב،שעור (فى عبرية عصر المشنا): مقدار، قدر.

מחלקת،קטטה (في عبرية عصر المشنا): الخصام، الخلاف.

תתערבב،תשתגש (فى عبرية العصر الوسيط): ارتبك، اضطرب.

התחזק،השתדל (فى عبرية عصر المشنا): بذل جهدا.

גוף،עצם (فيى عبرية العصر الوسيط): جسد، بدن.

טמאה،צחנה،סריחה (فى عبرية العصر الوسيط): قذارة، نجاسة

זהם، טנף،באש،צחן (فى عبرية العصر الوسيط)،כער (فى عبرية عصر المشنا): لوَّث، دنَّس.

מהיר،בקי (فى عبرية عصر المشنا): الماهر، الخبير.

הכניע،הכריע،הנחית،הפיל،המאיך، המריך (ينتمي إلى عصر المشنا): وكلها بمعنى: أخضع، أخنع، أذل.

נהפך לקדרות، נקדר، נחשך (ينتميان إلى عبرية العصر الوسيط):أظلم، خبا نوره.

אפילות צל מות (تأكيد المعنى، فالكلمتان تعنيان المعنى نفسه، وهو الظلام الحالك، الدامس).

כתת،שבר، דקדק (ينتمى لعبرية العصر الوسيط): كسر، حطم ، فتت.

גל تعنى موجة، משבר تعني الموجة المتكسرة على الصخور.

יום חשבון، יום דין (ينتمي إلى عبرية عصر المشنا): يوم الدين.

ילמד، יתחנך (ينتمي إلى عبرية عصر المشنا): تعلم، درس.

מחסה، מסתור (تنتمي إلى عبرية العصر الوسيط): سِتر، ملاذ.

יבש، ישתרב (ينتمي إلى عبرية عصر المشنا): يبس، جف.

להפריש את עצמו، ויזיר את עצמו تكرار عبارتين بالمعنى نفسه، وهو الاعتزال (مع ملاحظة استخدام الفعل الأول في المصدر اللامى وصياغة الثانى – المنتمى إلى عبرية العصر الوسيط– فى المستقبل، فتدل الأداة" الواو" على معنى "ثم".

(٣) الاشتراك اللفظي: يستخدم نص المخطوط لفظا واحدا للتعبير عن عدة معاني:

كمثل חנוך (ينتمي إلى عصر المشنا) بمعنى فكر، رأى. وأيضا (كمصطلح تلمودى) يدل على اكتساب خلق، عادة.

בריה تعنى خليقة، وأيضا مخلوق.

(٤) يستخدم نص المخطوط عدة ألفاظ للتعبير عن معنى واحد:

كمثل בהקבץ،בכללים،יחד للدلالة على دقة الجمع.

* חנוך،מחשבה للدلالة على فكر، رأى.

* הפסד، חסרון للدلالة على الضرر.

(٥) التضاد يستخدم نص المخطوط كلمتين بينهما تضاد فى المعنى، كمثل חסר : نقص، نقصان وردت فى السياق كتضاد مع יתר.

الخصائص اللغوية المميزة لنص المخطوط

(١) من الطبيعى أن يستعين نص المخطوط المكتوب فى العصر الوسيط باللغة العبرية المستخدمة في ذلك العصر غير أنه تميز أيضا بكثرة الاستعانة بمفردات من عبرية عصر المشنا (مشتملا المشنا والجمارا والتلمودين والمدراش).

(أ) أمثلة المفردات المنتمية إلى عبرية العصر الوسيط

זיזה (حركة) – מתמלא (ينجز) – חייב (ألزم) – ישר (سوّى، جعله مستقيما) – סלד (تمجيد) – עלוז (فرح) – עגוב (رغبة، شهوة) – תעדור (زينة، تزين) – להכליל (جمع، ضمن) – התעניין (فكر مليا، تأمل) – כסלות(غباء، حماقة) – טעיה (ضلال، الوقوع فى الخطأ) – ספקה (شك، ظن) – הפך (مزج، أربك، عكر) – התאיל (لعن، شتم) – מתילד(خلق) – שקוק (جوع) – רשש (أفقر) – צבה (رغب فى، ابتغى) - המריר (مرر، صير مرًا) – נתחלף (تبادل، تغيّر) – שרוי (مجاز، مسموح) – הושם (أنجز).

(ب) أمثلة الاستعانة بمفردات تنتمى إلى عصر المشنا

עמות (مرتبط، ملتصق) – יתיר (وافر، عظيم) – פלפל (ناقش، جادل) – דקדק (دقق، فحص) – בכלל (بما فى ذلك) – ממש (شئ ملموس) – שתל (فسيلة) – שעור (مقدار، قسط) – התחלף (تبادل، تبدل) – נתקן (صنع جيدا) – כלום (شئ) – נהג ב (عالج، عامل) – יישר כוחך (أحسنت) – כלל (عموم) – פלס (وازن) – הרגיל (عود، درب) – חנך (علم، درب) – ענין (فصل، باب) – בטל (فنى) – בריות (أبناء آدم) – חתוך (قطع) – נתקן (يصلح) – מצה (مادة خام) – השתטה (أصيب بالخبل) – סרהב (حث) – התעסק (انشغل، انهمك) – לקה (ابتلى) – אבד (ضيع) – התבלבל (ارتبك، تحير) – הילכך (بناء عليه) – די (كثرة، وفرة) – כבש (أخفى) – גסות (فظاظة، عجرفة) – הוגן (لائق) – גרה (حفز) – אזהרה (تحذير) – ערבב (مزج) – רשאי (مخول، مرخص) – התוסף (زاد) – דבוק (إلصاق، وصل، ربط) – נתחנך (اكتسب، تعلم) – כיצד (كيف) – דת (معتقد) – שפילות (خنوع، خضوع) – עלבון (إذلال، إهانة) – כל זמן ש (كلما) – דחק (توتر) – סכסך (ورَّط، أربك) – חלחל (أرعد، رجف، هز) – כפל (مرتان) – תמימות (كمال) – כרת (وفاة المرء قبل الأوان: أحيانا كعقاب من الرب) – כער (بشع، قبّح) – בשביל (بسبب) – אילן (شجرة) – התאנח (تنهد) – עין (فكر مليا) – טעה(أخطأ، زل) – מטעם (طعام شهى، لذيذ) – נסתלק (اختفى) – עדין (لذة) – החליף (بدل) – התרפא (تعالج، تماثل للشفاء) – חסידות (تقوى) – מעות (מעה) (قطعة نقود صغيرة) – הפריש (كرس) – התעסק (انهمك فى) – גוף (جسم، بدن) – מנהג (نمط، أسلوب) – נהג (سلك) – גזול (منهوب، مأخوذ بالقوة) – הצטער (تألم).

(٢) صياغة وابتكار مفردات واستخدامها استخدامًا خاصًّا

(أ) استخدام لغوى خاص بنص المخطوط

* פלוג يظهر الواو بعد اللام والمقصود פלג،פלגא التى وردت فى عصر المشنا بمعنى جزء ، شطر.

*משנית فى معنى "الثنائية" وجاءت فى صيغة المؤنث بينما الكلمة المتداولة هى משנה بمعنى ثان، مضاعف.

* שזרות وردت فى الجمع علما بأن للإنسان عمود فقرى واحد שזרה

*עגיבה من الفعلעגב والذى يفيد الشغف كمقابل للإيثار فى النص العربي.

*פורש עצמו استخدم نص المخطوط الفعل פרש وهو فعل لازم (ينتمى إلى عصر المشنا) وتلاه بمفعولעצמו (والمقصود يعتزل أى ينأى بنفسه).

*שוטט استخدم المخطوط الفعل שוטט في دلالته في عبرية المشنا على التنزه للمتعة مقابلا للسيح في النص العربي ومخالفا لمفهوم السيح في باب الزهد حيث يفيد حفظ الجوارح عن المعاصى.

* استخدم المخطوط أسماء باللاحقة (ות) كمثلהבלות، חשכות، סכסכות،שחנות،קדרות، כערות، טפשות، יאשות، ولي وجهتا نظر:

(١) أنه امتثل للظاهرة التى كانت شائعة في العصر الوسيط غير أن أكثرها استخدم للدلالة على الأسماء المذكرة وهو أمر لا يتضح في المخطوط لعدم ورود صفات تحدد جنسها.

(٢) أنه استخدمها للسجع مع דלות، שפלות، רשות.

* وردت كلمة עניות في السياق مع كلمات في الجمع المؤنث فمن المفترض أن تكون هي أيضا جمعا مؤنثًا، غير أن مفردها עניה يعني إجابة، استجابة مما لا يناسب السياق فتكون الكلمة في نص المخطوط اسما مشتقا עניות بمعنى الفقر والعوز.

* שכול اسم مشتق ورد في السياق مع كلمات في الجمع المذكر وفي الجمع المؤنث.

* מישיש يدمر، يحطم استخدم المخطوط الفعل ישש في وزن הפעיל.

(ب) استخدام خاص بالمخطوط على غير المعنى الوارد في المعاجم

* פיתוך بمعنى 'عنصر' وأيضا بمعنى 'طبيعة وسجية' مرادفة لـ ובע، ووردت فى الجمع مقابلة للنص العربى 'أخلاط'. ومرادفة لـ גולמים (علما بورود الكلمة فى الصفة פתיך ومنتمية إلى عصر المشنا فى معنى "الخلط والمزج".

* חנוכים وردت في الجمع مقابلة للنص العربى 'أخلاق'، كما ورد مفردها חנוך مرادفا لـ חפץ مقابلا للنص العربى 'خلائقها'.

* מדור وردت في نص المخطوط بمعنى 'دوارة' وفقا للسياق، بينما تعنى فى عبرية المشنا "مسكن، شعبة".

(ج) يستخدم المخطوط أحيانا صيغة تختلف عن الصيغة المألوفة

* מפעלות اسم فى صيغة الجمع المؤنث من מפעלה 'عمل' أخذ فى المخطوط الصفة فى المذكر רבים،עצומים.

* משפט فى معنى الحاكم.

* נוצרות ورد اسم الفاعل فى الجمع المؤنث بينما يتحتم وروده وفقا للسياق فى المفرد.

* פרומביא وردت بالنهاية الألف فى المخطوط بينما ترد فى المعجم بالنهاية الهاء.

* פרומביה ومعناها "شكيمة".

יכולת (تنتمى إلى العصر الوسيط) بمعنى قدرة فى المفرد المؤنث غير أنه فى المخطوط تبعها اسم الإشارة في الجمع הללו (وينتمى إلى عبرية المشنا).

צריכים ورد فى المخطوط فى الجمع (مفرده צריכה حاجية) منتمى إلى عصر المشنا.

לשון جاء فى المخطوط فى المؤنث ومسبوقا بفعل فى صيغة التأنيث الذى يشير إلى 'لغة' – ثم ورد مرادفا لفم – مقابل ما ورد فى النص العربى "لسان" فى صيغة التذكير.

* استخدم المخطوط الفعلين הרשיל،השליל فى وزن הפעיל فمن غير المألوف استخدامهما فى هذا الوزن.

(د) صوغ مفردات غريبة (معناها وأصلها غامض مبهم)

* צלחון: صلاح، استصلاح، نجاح (مرادفة لـ הצלחה)، كما وردت فى المخطوط فى معنى "السعادة".

* דברון غير واردة في المعاجم غير أن المخطوط عطفها على סברון (المنتمية إلى عبرية المشنا) بمعنى "الأمل، الرجاء".

الخاتمة

بهدف تبصير أبناء قومه من الممترين الذين ساورتهم الشكوك في عقيدتهم الدينية أخذ سعديا على عاتقه مهمة تفسير وترسيخ أسس الإيمان التى قوامها وحدانية الله جل جلاله والامتثال لأوامره والإيمان بالأنبياء واليوم الآخر.

ولتحقيق هدفه سلك سعديا سبيلى 'التأمل' والاستناد إلى "العقل" فعكف سنينا طوالا على الرد على مزاعمهم وإزالة شكوكهم وإرشادهم إلى السلوك القويم الذى ينتهجونه لكى يصلوا إلى مرتبة المؤمنين الصالحين، وذلك فى مؤلف عن أسس الإيمان والاعتقاد.

وقد بات من الجلى الآن أن سعديا ظل يكتب وينقح ويقنن فكره فى مسودات عديدة ودليل ذلك أن مؤلفه هذا وصل إلينا فى عدة نسخ:

١ . كتاب الأمانات والاعتقادات

٢ . المختار فى كتاب الأمانات والاعتقادات

٣ . تفسير كتاب الأمانات والاعتقادات (وهو نص المخطوط تحت الدراسة)

وباعتبار نص المخطوط الذى بين أيدينا والمتوافر في عدة مكتبات أوروبية هو الأطول فقد يكون هو الأصل. وسواء كتبه سعديا باللغة العبرية أو كتبه باللغة العربية ثم قام مترجم مجهول الهوية بترجمته إلى اللغة العبرية فقد قصد سعديا بهذا الشرح والتفصيل والتفسير توجيهه إلى عامة الجمهور حتى يفهموا ويستوعبوا ما جاء فيه من فكر ثم قدم نسخة موجزة باللغة العربية بحروف عبرية بهدف تقنين فكره وتقديم زبدته إلى جمهور المثقفين.

وقد انتهج نص المخطوط أسلوب الإطالة والتوسيع والتمديد والتكرار والإعادة وزيادة الفكرة والتوازى والترادف مما يجعله بحق مرتعا خصبا لتطبيق منهج علم لغة النص.

نازك إبراهيم عبد الفتاح

مصادر ومراجع مختارة

أولا: المصادر

1. Old Testament, Hebrew and English,London,1961.

٢ – مخطوطات سعديا جاؤون.

* פתרון ספר האמנות והדעות.

* ספר הנבחר באמנות ובדעות

* كتاب الأمانات والاعتقادات.

ثانيا المعاجم

* אבן שושן، אברהם، המלון העברי המרוכז، ירושלים، 1977.

* יהודה גור، מלון עברי، תל-אביב 1990.

Brown, F., Driver, S. R., Briggs, A., Oxford, 1966.

Segal, M. H., English-Hebrew, Hebrew - English dictionary, Tel Aviv, 1961.

ثالثا: مراجع مختارة:

* أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، الإسكندرية ١٩٩١.

* التفتزانى، أبو الوفا، مدخل إلى التصوف الإسلامى، القاهرة، ١٩٧٩.

* الغزالى، أبو حامد، ميزان العمل، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة، ١٩٦٤.

Abdul Fattah, Nazek Ibrahim,"Critical edition of Sections 3, 4 and 5 of the anonymous paraphrastic Hebrew translation of Kitab al Amanat wal I'tiqadat by Saadia Gaon, PHD, London, 1968.

Malter, H., Saadia Gaon, His life and works, Philadelphia, 1921.

Rosenblatt, S., Saadia Gaon, The Book of Beliefs and Opinions, New Haven, 1948.

Scholem,G., Ursprung, Und Anfange der Kabbala,Berlin, 1962.

Ventura, M., La Philosophie de Saadia Gaon, Paris, 1934.